ورؤساء مصر



الطبعة الأولى

مكتبة جزيرة الورد

☎ ٢٥١١٤٣٧١ /٠٢

رقم الإيداع: ١٨١٣ / ٢٠٠٧



أفـــراح ملـوك ورؤساء مصر

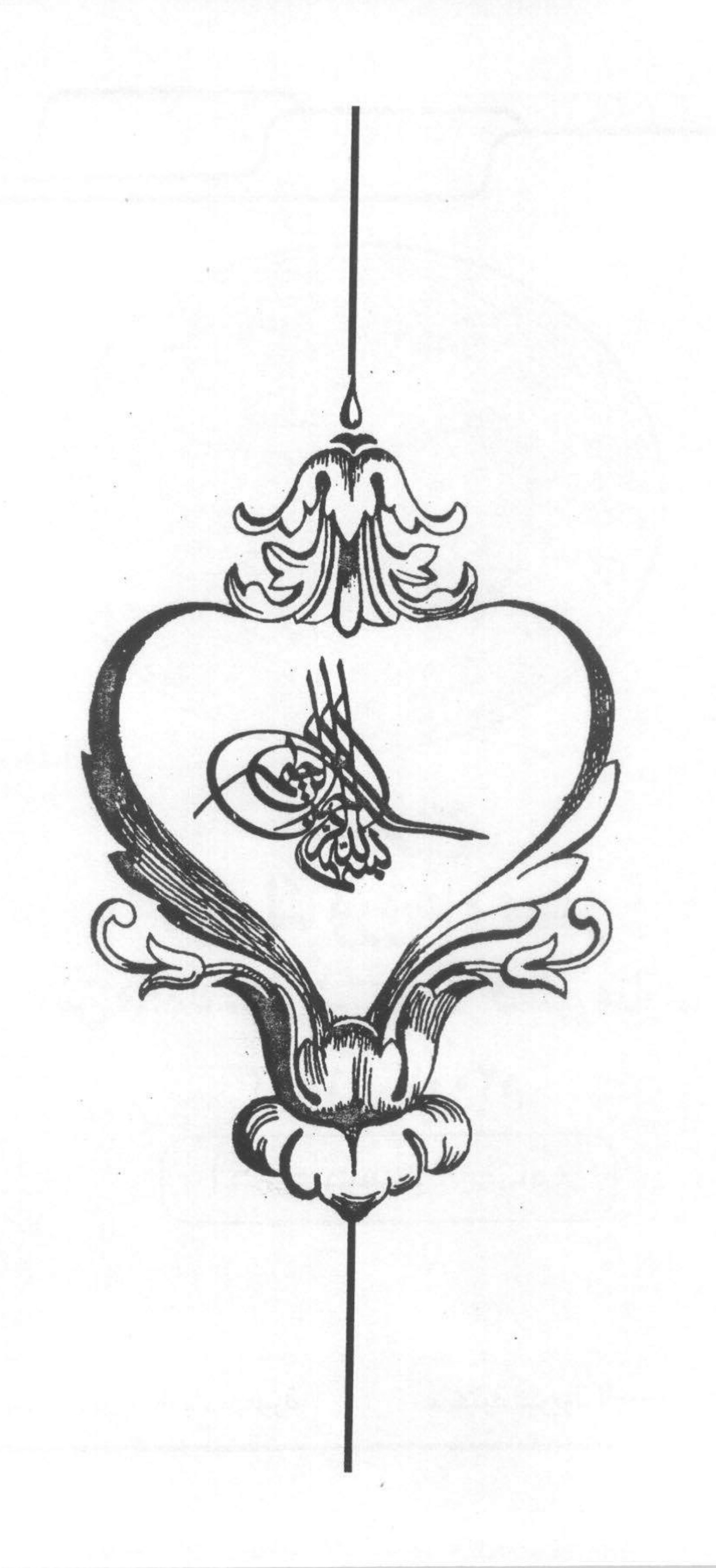
من محمد على إلى محمد حسنى مبارك

١٨١٣ : ٢٠٠٧م

أحمد حسين الطماوى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة



تقـــــديم

الزفـاف بسـمـة مـشـرقـة فى حـيـاتـى الرجل والمرأة، وله أثره النفـسى والاجـتـمـاعى ففـضـلا عـمـا يشيعه فيـهـمـا من سرور، فانه يقـويهـمـا على تقلبـات الحيـاة. ومنذ العـصـور القـديمـة كـان النـاس ينظرون نظرة احـتـرام للزواج لأن الأعـراف تقـره، والأديان تأمـر بـه، ومن هنا كـان من واجـبـات أصـحـاب العرس إشهاره وإعلانه، وجرت التقاليد على أن يكون الإشهار مـقـتـرنا بإقـامـة حـفـلات الأفـراح، وعـمـل الزينة.ومن الجـمـيل أن يفـرح الأعـراس ويخلعوا على الآخرين الفرح، إذ تسـتـيـقظ الحـواس، وتـصـدح الأصوات، وتنتعش آمال الشبان، وتسترسل العذارى فى الأحلام.

ولواقـتـصـرت حـفـلات الأعـراس على مـايُشـهـر ويبـهـج لعـد هذا من الحكـمـة، ولكن المبالغة والغلواء من طبائع النفـوس، فإننا نرى ونقـرأ عن أفـراح أسطورية ليس القـصـد منهـا الإشـهـار والفـرح فـحـسب، وإنما إلى جـانب ذلك يقـصـد منهـا كـيـد الخـصـوم، والافـتـخـار بالثـراء والبـذخ، والاشـتـهـار بالكرم والتـرف، وترسيخ المكانة الاجـتـمـاعـيـة. وليس هذا مقـصـورا على الأغنياء والحكام، وإنما يشترك فيه متوسطو الحال والفقراء، فكل يرغب فى أن يظهر فى أحسن مظهر، ويشتهر بين النـاس بأعلى من وضعه الحقيقى. والفارق بين هؤلاء وهؤلاء إنما يكون فى الجاه والمال، وفى القـدرة على الإنفـاق، ومـدى الإفـادة من النفـوذ والقـوة. وفى جـمـيع الأحـوال فـإن أصـحـاب السلطان والأثرياء أكـثـر قـدرة من غـيـرهم على الظهور والبذخ.

وإذا كان تزيّد الطبقتين الوسطى والفقيرة القصد منه الظهور اللائق غير المحِط أمام الناس، فإن الحكام كانوا يرغبون فى أن تكون أفراحهم، أو أفراح أنجالهم حديث الناس، بل حديث التاريخ، ومما ذكرته كتب التاريخ الكبرى زفاف بوران بنت الحسن بن سهل عام ٢١٠هـ إلى الخليفة « المأمون » فى « فم الصلح » بالعراق وفيه أنفق الوزير الحسن بن سهل على زفاف « بوران » خمسين ألف ألف) (خمسين مليونا)، فقد أدب المآدب وعليها ماتشتهى الأنفس، وأقام الأفراح، ونثر الدنانير والدراهم الذهبية والمسك وبيض العنبر على جميع الحاضرين من قواد وعسكر وأقارب « المأمون » ومكاريه ومن حملوا الجهاز ووزع بنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع وجوار ودواب . . . فكانت البندقة إذا وقعت فى يد شخص فتح الرقعة، وقرأ ما فيها ثم يدفعها إلى الوكيل المنوط به تسليم الهدايا فيعطيه ما فاز به، وأنشد الشعراء فى هذه المناسبة أشعار التهنئة .

ولا يبعد عنا زفاف « قطر الندى » بنت خمارويه الطولونى إلى الخليفة العباسى أبى العباس المعتضد سنة ٢٨٠هـ. وما قيل من أنه أثناء انتقالها من مصر إلى العراق ابتنيت لها القصور والاستراحات والمحطات لتنزل فيهاثم تستأنف الرحلة وهى متكئة على الوسائد والحشايا . وحسب المؤرخ المسعودى فى« مروج الذهب . . . » أن صداقها كان ألف ألف درهم (مليون) وأن الخليفة أهدى إلى أبى الجيش خمارويه بدرة من الجوهر المثمن فيها درر وياقوت وأنواع من الجواهر ووشاح وتاج وأكليل وغير ذلك . وفى العراق كان ما كان من أفراح .

وهذا الزفاف الأسطورى يغرى القارئ بالبحث فى كتب التاريخ

والتراجم عن الأعراس الحافلة بشتى صنوف الثراء والبذخ حتى يقف على زواج بنت السلطان« ملكشاه » السلجوقى من الخليفة « المقتدى بأمر الله » العباسى نحو عام ٤٨٠هـ ويتأمل جهازها الذى نقل إلى دار الخليفة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى، وكان أكثر الأحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات، وعلى أربعة وستين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين يدى البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيم اكسير الذهب كما يقول ابن الأثير فى« الكامل » والسلطان« ملكشاه بن الب أرسلان » الذى جهز ابنته بأحمال الذهب كان من عظماء سلاطين الإسلام، وكان يلقب بالملك العادل ودولته تمتد من آسيا الصغرى(تركيا الآن) وسوريا غربا إلى حدود الصين شرقا بما فيها العراق وبلاد القوقاز وإيران وتركستان التى تعرف اليوم بدول قرغيزيا وأوزبكستان وتركمانيا وتاجيكستان، فليس كثيرا عليه أن يزود بنته بأحمال الذهب التى تحملها عشرات الجمال، وكان وزيره « نظام الملك » وهو من أعظم وزراء الإسلام، ورجال دولته يسيرون فى موكب الزفاف ويحملون الشمع والمشاعل، وخلفهم نساء الأمراء والنبلاء وبين ايديهن الشموع والمشاعل يحملها الفرسان، ثم جاءت الخاتون العروس « فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ، وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك بالمراكب العجيبة وسارت إلى دار الخلافة. . . وكانت ليلتهم مشهودة لم ير ببغداد مثلها » .

وجهاز العروس الثمين لا يرتبط بثراء والدها فحسب. وإنما يرتبط أكثر بمكانة العريس ومقامه، ولما كانت هذه العرائس التى عرضنا لها تزف إلى خلفاء، وهم أعلى الناس قدرا ومقاما؛ لأنهم رجال الدين والدولة، فإن جهاز عرائسهم لابد أن يكون غاليا مبهرا يذهل العقول، كذلك فإن الجهاز النفيس المتنوع المتعدد الأشياء له دوافع نفسية أهمها: أن والد العروس مهما كانت مكانته وحيثيته أقل من الخليفة شأنا، ومن ثم نراه يفعل الافاعيل، ويتغلب على المستحيل ليعوض هذا النقص،أو يملأ الثغرة العميقة التى تفصله عن الخليفة وذلك بإظهار الثراء ليكتسب احترام الخليفة، ويحسّن من وضع ابنته، وليس هناك أكثر من الذهب ومنحه بالقناطير المقنطرة لإظهار الثراء.

والذين كتبوا عن عرائس العصور الوسطى التى عرضنا لها، قال كل واحد منهم عن الزواج الذى كتب عنه: إنه لم يحدث له مثيل أو لم ير مثله. ولكن الحياة مادامت متواصلة وتتجدد، فإن ما مضى يمكن أن يتكرر فى صور أخرى على نحو ما نرى فى أفراح أنجال أسرة محمد على باشا فى العصر الحديث.

أحمد حسين الطماوى

٢٠٠٧/١١/٦

أنجال محمد على باشا

مـرت الأعـراس منذ زمن طويل بأشكال مـخـتلفـة، وكل فـتـرة لهـا تقاليدها، وأشهر هذه الأشكال انتقال العروس من بيت الأب إلى بيت الزوج فى هودج يحمله جمل، والعروس تجلس فيه على الحشايا والوسائد المريحة، وخلفها جمال أخرى تحمل الأهل والأتباع. وقد ساد هذا الشكل فترة طويلة من الزمن.

ثم جاء زمن آخر تستقل فيه العروس عربة مزينة يجرها أربعة أو ستة من جياد الخيل، والعربة مقفلة ولها نوافذ صغيرة عليها ستائر مسدلة تتبعها عربات ويحف بها فرسان. وتصحبها الطبول والدفوف وحولها الأقارب والجيران من رجال يهتفون ونسوة يزغردن وشبان يطلقون النار، وهو موكب يُشعر بالفخفخة والأبهة، ويستفلت الأنظار وهو يمر بشوارع يصطف على جانبيها أناس يشخصون ويستخفهم الفرح فيصفقون ويهللون.

حتى إذا وصلت العروس بيت الزوج، وهبطت من عربتها أحاط بها الأهل ونثروا عليها الذهب وبخاصة عند الأغنياء، وسارت تتهادى فى بطء تتقدمها رقاصة مياسة تضرب الصاجات، وبجانبها طبالة قوالة تغنى على إيقاع الطبل، والعروس تخطو فى رفق وسط إطلاق النار، والصياح والهتاف، وتلاحق الزغاريد، وقراءة التعاويذ ونثر الملح خوفا من عين الحسود.

ثم جاءت السيارة الحديثة التى تستقلها العروس فتصل بها فى دقائق

إلى ناد يجلس فيه أناس ويسمعون الغناء ويشهدون الرقص وسائر المناظر.

وأعراس أميرات أسرة محمد على فى القرن التاسع عشر من النوع الثانى حيث تقلهن عربات تجرها الخيول ويصحبهن العسكر والموسيقات ويصطف الناس لتحيتهن ونتناول هنا زواج ثلاثة من أبناء محمد على(١٧٦٩-١٨٤٩) وهم إسماعيل باشا ونظلى هانم وزينب هانم. ويقتضى الأمر أن نقول شيئا عن زواج محمد على من زوجته الشرعية الأولى السيدة أمينة التى أنجب منها أكبر أولاده، وهى الوحيدة التى تتوفر عنها كلمات قليلة مدونة، أما حريمه الأخريات فإن الغموض يسترهن، فهل هن من الزوجات الشرعيات أو من المحظيات؟ أو هل هن خليط من هذا وذاك؟، فقد قال الجبرتى فى يومية ١٨٠٧/٩/٣٠ «ولد لمحمد على مولود من حظيته».

أما ابناه اسماعيل وناظلى فقد أنجبهما من زوجته الشرعية «أمينة» هانم[١] التى اقترن بها فى «قواله» من أعمال مقدونيا، وليست من أعمال البانيا كما أشيع عنه، وكان محمد على (الذى مات والده وهو فى الرابعة من عمره، وكفله عمه الذى سرعان ما قتل، ورباه صديق لوالده) قد تطوع فى الجيش العثمانى، وكان لمعلمه فى الجيش قريبة مطلقة لديها مال وعقار على حد قول جرجى زيدان(١٨٦١-١٩١٤) فزوجه منها وأنجب إبراهيم وطوسن وإسماعيل ونظلى وتوحيدة، ولما جاء

---

(١) توفيت سنة ١٨٢٤ ودفنت في مقابر الإمام.

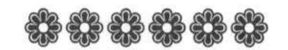
مصر ضمن الجيش العثمانى لمقاتلة الفرنسيين عام١٨٠١، ترك زوجته وأولاده، وفى مصر أخذ يعلو نجمه رويدا رويدا إلى أن صار واليا عليها بفرمان شاهانى فى يونيه ١٨٠٥ وعندما شعر بالأمن والاستقرار دعا اسرته لتنتقل إليه فى مصر على مراحل ففى٢٨ / ٥ / ١٨٠٥ وصل إلى ساحل بولاق ولداه إبراهيم وطوسن، وفى شهر مايو ١٨٠٩ جاءت زوجته وابنه إسماعيل وباقى أولاده وأقاربه. واستقبلت نسوة القاهرة زوجة محمد على بأمر منه، ولدى وصولها إلى ساحل بولاق ضرب الجند المدافع، ثم حملها المكاريه ونزلت بقصر محمد على فى الأزبكية وانهالت عليها الهدايا وقطعا عرفت محظيات محمد على وأولاده منهن وهذا مما لا يطيب للزوجة، فلم يعد محمد على هو الفتى الفقير الذى عرفته وكانت الحركة الوهابية فى جزيرة العرب قد رسخت، ورغب السلطان العثمانى فى استعادة النفوذ العثمانى، وعندما تولى السلطان محمود الثانى عام١٨٠٨ ألح على « محمد على » فى ضرورة محاربة الوهابيين والقضاء عليهم، وكان محمد على يتلكأ والسلطان يلح، وأخيرا بعث إلى الحجاز حملة عسكرية تحت قيادة ابنه طوسن وتقدم طوسن وتعثر وفقد كثيرا من جنده، فقرر محمد على الذهاب بنفسه إلى الحجاز ولكن بعد أن يكتب وثيقه زواج ابنيه إسماعيل ونظلى.

ففى يوم٢٣ / ٩ / ١٩١٣ دعا محمد على الأعيان والمشايخ وقضاة مصر مثل بهجت أفندى وصديق أفندى وثالث" وعقدوا عقد ابنه إسماعيل باشا على ابنة عارف بك التى حضرت بصحبة أبيها من الديار الرومية، وعقدوا عقد أخته ابنة الباشا على « محمد أفندى الذى تقلد

الدفتردارية » . والمقصود بالديار الرومية هنا الأستانة أو اسطنبول لأنها تقع فى إقليم « الروملى » أحد ممتلكات الدولة العثمانية فى الجانب الأوربى، أما ابنة الباشا فهى نظلى هانم أفندى كبرى بنات محمد على، ولدت فى قواله، وجاءت إلى مصر مع أمها سنة١٨٠٩، وأقامت فى قصر الدوبارة، وعاشت أرملة بعد موت زوجها، وعندما تولى عباس حلمى الأول الحكم حصل شقاق فى الأسرة المالكة، فتركت القاهرة وأقامت باسطنبول ودفنت بها، وقيل إنها هى التى دبرت مؤامرة قتل عباس باشا الأول. ومحمد الدفتردار زوجها والمنوط به إدارة الشؤون المالية أنعم عليه بالبيكوية بعد زواجه من نظلى، وكان قائدا فى جيش محمد على الذى فتح السودان، وهو الذى استولى على كردفان،وتولى حكم السودان فترة قصيرة. أما إسماعيل ابن محمد على، فقد ولد بقوله وجاء إلى مصر مع أمه وكان صغيرا، ومنح الباشوية عام١٨١٠، واسند إليه فتح السودان عام١٨٢٠، وأخضع شرق السودان وقتل فى شندى عام ١٨٢٢ وظلت زوجته الأرملة مقيمة فى القاهرة. كذلك كان محمد على يراعى مصالحه فى اختيار زوجات أولاده، فزوجة ابنه إسماعيل التى جاءت من اسطنبول هى حفيدة وزير السلطان محمود ولها مكانتها عند أم السلطان وكانت« تستخدم نفوذها لصالح محمد على، وهدفها دائما مصلحته الشخصية » على ما تقول صوفيا بول وعزة كرارة لذلك كانت تتردد كثيرا على اسطنبول لقضاء مهام يكلفها بها محمد على.

نعود إلى زواج ابنى محمد على لنبين أن فكرة الزواج الجماعى التى عرفت فى عهد الخديو إسماعيل (أفراح الأنجال) كانت بدايتها زمن

محمدعلى باشا، إذ إنه كتب وثيقة زواج ابنيه فى ليله واحدة، ويقول الجبرتى أنه عندما تمت كتابة العقدين قدّم للقضاه« تعابى بقج فى كل واحدة أربع قطع من الأقمشة الهندية » ووزع على باقى الناس« محارم » . ثم سافر محمد على إلى الحجاز لإخماد الثورة الوهابية قبل أن يتم الزواج ولم يعد إلا فى سنة ١٨١٥ .



زفاف إسماعيل ونظلى

وبعد كتابة عقدى الزواج بشهور قليلة نظم الكتخدا وهو وكيل محمد على حفلات زفاف إسماعيل على مدى أسبوع فى الأزبكية وتبدأ يوم السبت أول يناير ١٨١٤ وتنتهى يوم الجمعة٧ يناير١٨١٤، . ونصبت الأعمدة فى بركة الأزبكية، ولم تكن قد ردمت، وعلقت عليها المصابيح والقناديل بطريقة فنية بحيث تشكل صورة لمركب أو سبعين متقابلين أوشجرة أو كتابات مثل « ما شاء الله » واصطفت المدافع فى البركة، ونصبت حبال البهلوان، وحضر هذا الفرح الأعيان والأشياخ والرجال والنساء والكبار والصغار وتواصل ضرب المدافع ليلا ونهارا طوال هذه المدة إلى جانب إطلاق الصواريخ وإشعال الحرائق، ومارست الطوائف ألعابها مثل المحبظاتية، والحواة والقرداتية والراقصات، وعمل أصحاب الحرف والصناع عربات تمثل حرفهم، وتفننوا فى ذلك، وصارت العربات أسواقا متحركة، فترى الدكان والبائع جالس فيه كالحلوانى وأمامه الأوانى فيها أنواع الحلوى والسكر وحوله أوانى الملبس وأقماع السكر معلقة حوله . . . والنشار وهو ينشر الخشب بمنشاره المعلق . . والجزار وحوله لحم الغنم . . » وقس على ذلك الشربتلى والعطار والحريرى والعقاد البلدى والزيات والحداد . . وتصل هذه العربات إلى واحد وتسعين عربة وجميعها تطوف بشوارع القاهرة، وكل هذا مدفوع الثمن من قبل السلطة، علاوة على ما يأخذه شيخ الحرفة، فقد أُعطى بعضهم شال وألفين فضة، وغيرهم أُنعم عليه بخلعة ودراهم . وأدبت المآدب فى

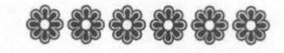
الأزبكية.

وفى يوم الخميس ٣١ / ١٢ / ١٨١٣ يوم الزفة خرجوا من بيت البكرى إلى الموسكى إلى تحت الربع إلى باب زويلة فالغورية وانتهى بهم المسير إلى سراى إسماعيل بن محمد على قبلى بولاق وصحب موكب العرس العسكر ووالى الشرطة والمحتسب والانكشارية وتجار خان الخليلى والغورية والحمزاوى.. وعندما وصلت العروس إلى السراى تواصل إطلاق المدافع من عدة جهات.

ثم أخذ المكلفون بالإعداد لزواج نظلى هانم فى العمل، بيد أن أم العروس لم تحضر. والظاهر أنها كانت فى مكان بعيد فتأخر العمل نحو اسبوع، وما أن وصلت وأطلقت المدافع حتى بدأت حفلات العرس(من ١٥ يناير إلى٢٢من يناير١٨١٤) على نحو مشابه لما سبق وصفه، وفى ٢١من يناير ١٨١٤ زفت العروس إلى محمد بك الدفتردار وسط إطلاق المدافع والصخب والهيص فى قصر النيل.

ويفيدنا الجبرتى الذى هو مرجع مهم فى وصف ما جرى. أنه فى ليلة زفاف نظلى وبينما موكبها يمر فى شوارع وسط القاهرة تكاثفت الغيوم، وهطلت الأمطار وابتلت النساء والرجال المتجمعون للمشاهدة والسائرون خلف العربات والواقفون على جوانب الطريق، وتعثرت الحمير، وتلفت الزينات، وتفرق الناس، واختل نظام الموكب، وعندما وصلت العروس إلى دارها صفت السماء، ويقول الجبرتى شامتا: إن هذا« من الأحداث السماوية» ومرد هذه الشماتة إلى سوء العلاقة بينه وبين محمد على، فلم يكن مقربا من الباشا،تصف صوفيا بول« نظلى هانم» بأنها تشبه أباها

فى ملامح الوجه والعينين وبأنها ذكيه ولماحة وابتسامتها جميلة، ويؤخذ من كلام صوفيا أن نظلى متغطرسة فإذا دخلت عليها امرأة وانحنت لتقبل يدها، فإنها تمد يدها دون اعتبار لها، وكان لديها عدد من الغلاليين مباسمها مرصعة بالماس البرلنتى لأنها كانت لا تكف عن التدخين، وقد تجعل إحدى محظيات أبيها تخدم ضيفاتها.



زفاف زينب هانم

ولما كان الجبرتي، مؤرخ عصره، قد توقف عن تدوين يومياته عام١٨٢٢، ورحل عن دنيانا نحو عام ١٨٢٥، فإنه بالطبع لم يؤرخ لزواج أولاد محمد على الآخرين، ولم يظهر فى مصر مؤرخ بحجم الجبرتى أو باقل من حجمه حتى ظهور الصحف العربية فى سبعينيات القرن التاسع عشر. لذلك فإن فترة من تاريخ مصر يشو بها الغموض، وبخاصة فى المجال الاجتماعى. ومن ثم فإن من يؤرخ لهذة الفترة لابد أن يرجع إلى مذكرات بعض من عاشوا فيها مثل مذكرات نوبار باشا، وإلى الكتب التى دونها الأوربيون عن تاريخ مصر ممن شهدوا الوقائع، وإلى كتب الرحالة الذين عاينوا الأحوال.

ومن هؤلاء الرحالة: السيدة «صوفيا بول» أخت الرحالة الإنجليزى الشهير« وليم إدواردلين» الذى زار مصر عدة مرات فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ووضع كتابه المعروف« المصريون المحدثون» وقد تأثرت صوفيا بأخيها وجاءت الينا بهدف التعرف على الحريم الشرقى فى مصر. وقد تمكنت من دخول قصور محمد على وشاهدت مابداخلها، والتقت ببعض حريمه، ووصفت كل ذلك فى كتاب ترجمته عزة كرارة عنوانه «حريم محمد على» ويعنينا منه مشاهداتها وانطباعاتها عن حفلات زفاف «زينب» هانم صغرى بنات محمد على إلى كامل باشا عام١٨٤٥. «وكامل» هذا ياور محمد على وسكرتيره الخاص، وكان يحمل رتبة البيكوية. ولما علم السلطان أنه سيقترن بابنة محمد على

منحه رتبة الباشوية.

كانت احتفالات الحريم بهذه المناسبة فى قصر القلعة، أما قصر العروس فكان فى الأزبكية، وكان الطريق الواصل بين القصرين قد امتدت فوقه حبال طويلة علقت فيها الثريات الزجاجية، وكل ثريا بها عشرة مصابيح، علاوة على ما علق على قصر القلعة من مصابيح وعلى جدرانه ومداخله وميدانه وأشجاره وكذلك قصر الأزبكية وميدانه الفسيح.

وفى اليوم الأول من الاحتفالات «كانت العروس جالسة فوق مجموعة مرتفعة من الوسائد من الستان الوردى الفاتح المطرزة بفخامة بالذهب، وعن يسارها وقفت سمو الأميرة نظلى هانم تنثر وابلا من العملات الذهبية والفضية بين الجموع، وكان هذا هو سبب وجود ما يقرب من ثلاثمائة امرأة معظمهن يحاولن الحصول على هذه الهبة».

ونثرت« بارات فضية مخلوط معها شعير وملح.. والغرض من الملح هو درء عين الحسود... وحينما توقف وابل الذهب والفضة غادرت العروس الصالون مثقلة بما ترتديه من ذهب ومجوهرات تساندها أربع جوار.. كان يبدو على محياها مسحة من الحزن العميق مما أثار إشاعة تزعم أنها لا تميل إلى خطيبها »ووصفت الرحالة ثياب العروس وجواهرها الكثيرة الثمينة، واستفاضت فى وصف هدايا العريس من جواهر وثياب مرصعة بالماس وهى أيضا كثيرة وثمينة. ثم ذكرت هدايا محمد على إلى ابنته وتقول:« إن الماس الذى أعطاه الباشا لابنته لهذه المناسبة تبلغ قيمته ٢٠٠،٠٠٠ جنيه، وأن الحزام والعقد أثمن وأجمل ما يتضمن إذ إن

الحزام قيمته ٤٠,٠٠٠ جنيه والعقد ٣٧,٠٠٠ والقراط ١٢,٠٠٠ والأساور ١٠,٠٠٠ جنيه استرلينى ».

وتصف العقد قائلة: « والعقد مكون من فصوص البر لانتى الكبيرة، وتركيبته من الفضة، ويقال إنه لا مثيل له فى أوربا سوى ماتمتلكه الليدى لو تدنديرى، ومما زاد فى سعره صعوبة العثور على الماسة الرئيسية، كما شاهدت عديدا من الخواتم الماسية الرائعة وكان واحد منها يحتوى على حجر من البرلانتى ذى حجم مهول، ومن الغريب أنه باستثناء مسبحة جميلة من اللؤلؤ، كانت جميع المجوهرات من الماس، وحلى الرأس التى تبدو على شكل أغصان كلها من الماس المركب فى الفضة، وكلها غاية فى الفخامة، فمنها على شكل وردة ذات براعم وأوراق، ومنها مثل فرع الياسمين وأخرى تشبه الهلال والنجم، وقد أثار إعجابى الشديد تاج رائع الجمال، كما رأيت ضمن الأشياء المبهرة.. ساعتين فى إطارين مرصعتين بفصوص غزيرة من الماس. ومرآتين رائعتين مزخرفتين بوفرة بفصوص الماس ثمن كل منها ألف جنيه، كان الغلاف الخلفى لإحداهن مغطى بالمينا دقيق الصنع وفصوص الماس تكاد تغمره بالكامل. أما الآخر فصنع بمادة نسقت فيها فصوص الماس ببذخ وذوقه رفيع جدا...».

وبعد هذه الجولة الماسية فى الكنوز النفيسة تنتقل الرحالة الإنجليزية إلى كنوز أخرى ماسية وذهبية وملابس مطرزة باللؤلؤ والماس والذهب، والفراء السمور وخلافه كثير وإلى أبعد مدى.

وقدمت الاطعمة المتنوعة الكثيرة إلى مئات النساء بينما فرق الحريم الموسيقية تعزف المقطوعات المرحة أثناء تناول العشاء إلى جانب حفلات

الرقص التى ترقص فيها تركيات وجورجيات ومصريات .

وكان محمد على يستضيف للعشاء كل ليلة طوائف مميزة من الناس مثل القناصل والرحالة وبعض الأوربيين المقيمين وبعض العلماء،وبعض المصريين والأعيان إذا اتسع لهم المكان . وبعد تناول العشاء يقودهم إلى بهو أعد ليكون مسرحا ليشاهدوا فرقة أوربية تقدم عروضا مسرحية « ولعلها كانت أكبر مغامرة ضمن العديد من الفرق الأوربية التى استحدثت فى هذه المناسبة » وإلى جانب ذلك كانت هناك بعض العروض المسرحية داخل غرف وأبهاء الحريم تقوم بها شرقيات بعضهن يقمن بدور النساء وأخريات يقمن بدور الرجال، وهذا الكلام يعطينا بعدا جديدا، وعمقا فى تاريخ المسرح بمصر.

وفى اليوم الثانى انتقل جهاز العروس وشوارها على عربات،وفيه الحلى والمجوهرات والأشياء الثمينة مكشوفة للعيان، تبعها حاملوا الرماح، واعداد من الضباط بملابس الجيش المطرزة، وخلفهم تلاميذ المدارس الإسلامية يتلون آيات مناسبة من القرآن الكريم، ثم الفرسان وفرقة موسيقية تعزف ألحانا أوربية وفرقة من حاملى الدروع، وفرق من مشاة الجيش يحملون أعلاما من الحرير الأحمر والأبيض ثم فرقة موسيقية أخرى من الجيش تتبعها فرق من الفرسان بحلل جميلة، علاوة على مائة وخمسين رجلا يحملون صينيات مغطاة بقماش رقيق، وعلى هذا النحو كانت تتكرر فرق موسيقية وغيرها من حاملى الدروع والرماح، والقائمة طويلة .

وكانت الألوف المؤلفة من الناس يطلون على الموكب من النوافذ

وأسطح المنازل، وفى الشوارع،والمدافع تطلق أعيرتها النارية .

وفى يوم الحناء نثر الذهب على مئات من النساء ووزعت الهدايا، وفى يوم الزفاف٢٦ / ١٢ / ١٨٤٥ تحرك الموكب من القلعة إلى الأزبكية وخلفه مثل ما ذكرنا يوم نقل الجهاز.

وتذكر الرحاله أنه « قدر عدد النساء اللاتى جئن إلى القصر خلال أسبوع الاحتفالات كان فى المتوسط سبعة آلاف فى اليوم الواحد، ،وكلف يوميا فى قصر الأزبكية ثلاثمائة من الطهاة بإعداد أجود صنوف الطعام » .

وعندما وصلت العروس إلى قصر الأزبكية، وخرجت من عربتها قبلها زوجها كامل باشا باحترام، وبعد دخولها الصالون بنحو ساعة « تقدم نحوها بكل خشوع، وبعد أن قبل يديها وقدميها أزاح الحجاب عن وجهها وتقهقر إلى الوراء يمعن النظر فيها مدة دقيقة ثم قبل ثانية يديها وقدميها » وظل الزوج «أحد عشر يوما يزور العروس على هذا المنوال حتى أنست له » .

والسؤال الذى يطرح نفسه: هل كان أولاد محمد على يقبلون أقدام وأيدى زوجاتهم على هذا النحو الذليل حتى يأنسن لهم؟ أو أن بنات الوالى فحسب اللاتى لابد أن يظهر لهن الرجال الولاء والطاعة؟ .

ولا أستطيع أن أورد من كلام صوفيا أكثر مما أوردت . فقد استغرق حديثها عن هذا العرس حوالى أربعين صفحه من القطع الكبير، وكانت تتحدث فيها بإعجاب ودهشة حتى قالت إن ما رأته ذكرها بما جاء فى ألف ليلة وليلة .ولينظر القارئ إلى مقدار البذخ والتبذير فى الوقت الذى

كان فيه عسكرمحمد على يعتدون على الشعب المصرى ويُخرجون الأهالى من بيوتهم ويسكنونها ويطلقون دوابهم على المزارع، وانظر ما يحدثك به الجبرتى عن الظلم وغباء أولى الأمر. وزينب هانم أفندى هذه بقيت فى مصر بعد وفاة محمد على، وعندما تولى عباس حلمى الأول مدة الحكم فى مصر وقعت خلافات كثيرة بينه وبين أفرادالعائلة العلوية، فهاجر بعضهم إلى تركيا ومنهم زينب هذه التى برحت مصرعام١٨٥٢ إلى اسطنبول [١]، وتقلد زوجها كامل باشا مناصب رفيعة فى الدولة العثمانية وفى عهد السلطان عبد العزيز(١٨٣٠-١٨٧٦) تولى الصدارة العظمى،وتذهب زينب فواز(١٨٦٢-١٩١٤)إلى أنها توفت عام١٨٨٥ ودفنت خارج مدينه إسكدار، ولم تنجب أولاداً وورثها أخوها الأمير عبد الحليم بن محمد على،وكانت سيدة محسنة، إذ أوقفت أموالا طائلة على الأعمال الخيرية وعدد من المساجد مثل: مسجد الحسين والسيدة زينب،وغيرهما، وخصصت أموالا لقارئى القرآن الكريم فى قصورها.

وإذا وازن القارئ النجيب بين ما كتبه الجبرتى عن زواج أبناء محمد على وما كتبته الرحالة الإنجليزية يخلص إلى أن الجبرتى اقتصر فى سرده على ما رآه فى الشارع المصرى. أى توقف عند المظهر الخارجى الذى عرفه هو وعرفه كل من رآه من أبناء زمنه، أما صوفيا فقد دخلت

---

(١) أجبر عباس الأول يوسف كامل باشا علي تطليق زوجته الأميرة زينب بنت محمد علي، ونفاه إلي الصعيد : فأمر السلطان عبد المجيد بإرساله إلي الاستانة، وصدرت الفتوي الشرعية من شيخ الاسلام بأن طلاق المجبر لا يعتبر فرجعت إليه (راجع « مصباح الشرق » في ٢٦ / ٥ / ١٨٩٨).

القصور، ووصفت الاحتفالات، ووقفت على مكونات الجهاز، واطلعت على مقادير الماس والذهب الخفية عن عيون الشعب، وكتبت بدقة واستفاضه، وفصلت القول فيما رأته من الناحيتين المادية والجمالية. ولأنها أنثى فقد التفتت إلى الملابس المطرزة، وانتبهت إلى الجواهر المطعمة بالأحجار الكريمة وغير ذلك مما يستلفت نظر المرأة أكثر من الرجل. علاوة على تحليلها لنفسية العروس التى لم تكن منشرحة لعدم ميلها إلى زوجها.

وبإيجاز فإن حديثها ركز على الأوضاع الداخلية فى أفراح الحريم العالى وإذا لم تكن قد وجهت نقدا لمحمد على وحريمه ووصفت كل شىء بأنه جميل ورائع، فإن حديثها يستميل القارئ ضد البذخ والترف. وليس حديثها عن مئات النساء اللاتى كن يتنافسن على التقاط الذهب المنثور حتى كدن يقتلن طفلا تحت أقدامهن عبثا، فإنها ترغب فى إظهار حاجة هؤلاء إلى المال أو قدر منه، وعلى أية حال فإن ما ذكرته يتعذر على الجبرتى معرفته بسبب بعده عن القصور، كما أنه ليس فى استطاعته التصوير الفنى للقمصان والسنتيانات وغيرها.

وأوصافها فى مجملها لها اثر فى النفس، فالمناظر البهيجة المختلفة الألوان تجذب العين، والأنغام الموسيقية والغناء تطرب السمع، والطعام المتنوع يثير الشهية، وملابس العروس المطرزة بفصوص الماس والذهب تريح الذوق. وكل هذا يعطى انطباعاً فنيا وحضاريا.

ولا يمكن أن ننتصر للسيدة الانجليزية على طول الخط، ونخذل مواطننا الجبرتى، فإذا لم يكن فى مقدوره أن يسرد ما سردته الإنجليزيه، فإنه

يعرف من أحوال القاهرة ما لا يمكن أن تعرفه هى وتحيط به، فهو يذكر أن نظلى هانم قطنت فى قصر قبلى بولاق ويبين أن هذا القصر كان قصر إبراهيم بيك أحد زعماء المماليك وكانت تقطنه بنته مع زوجها، ولما ماتت البنت قطنه الزوج، وأمر محمد على بإزاحة زوج بنت ابراهيم بيك، واغتصب القصر وأسكن فيه بنته، وهذا القصر هو جزء من قصر النيل الشهير الذى يضم عدة بنايات كبيرة إحداها قصر الدوبارة على الضفة الشرقية للنيل.

نقطة أخرى أثارها الجبرتى وهى الهدايا والأمتعة والجواهر المقدمة من المصريين، وشبه المفروض عليهم تقديمها لأم العروسين إسماعيل ونظلى، فإذا جاءت هدية من المصاغ المجوهر والمقصبات وغيرها وأعجبتها استبقتها. وإلا أمرت بردها لأنها لا تناسب مقام بنت الباشا. فهذه الأشياء لا يمكن للسيدة صوفيا أن تعرفها نظراً لأنها غريبة ولا تعرف كثيرا من بواطن الأمور بمصر.

هذا ما وقفت عليه من أفراح أنجال محمد على الكبير، وربما كان اخرون أقيمت لهم احتفالات زفاف ولم تصلنا أخبارهم. أما محمد على، فإن الجبرتى لم يذكر أنه أقام أفراح الزواج لنفسه وزفت اليه عروس فيها.

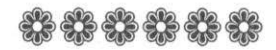
والراجح لنا أن حريم محمد على، باستثناء زوجتة الأولى الشرعية التى تزوجها فى قواله، كن من المحظيات.

فالجبرتى، كما مر بنا، يقول ولد لمحمد على مولود من حظيته.

وصوفيا بول تقول عن شمس الصفا إحدى حريم محمد على« كانت تتمتع بلقب وحقوق الزوجة ولكنها فى الواقع لم تكن زوجة بالمعنى

القانونى » أى ليست زوجة شرعية.

وتقول « بول » أيضا: عندما زارت نظلى هانم فى قصرها :« لقد طلبت أى نظلى من إحدى محظيات الباشا،ووالدة اثنين من أولاده أن تقوم على خدمتى » وتقول زينب فواز العاملية فى كتابها« الدر المنثور... » عن أم زينب هانم أفندى التى تحدثنا هنا عن زفافها« إن أمها شمع نور قادين شركسية من محظيات محمد على » وربما كانت حريمه الأخريات على هذه الشاكلة، فإنك لا تقرأ فى كتاب من الكتب عن حسب أو نسب لهؤلاء الحريم، ولا أعنى بالحسب، نسب المرأة لأصل عريق، وإنما أعنى أن يكون لها نسب بأية أسرة مهما كانت متواضعة، وأنها انتقلت من بيت أبيها إلى بيت الزوجية.



أنجال الخديو اسماعيل

مرض محمد على باشا فى أواخر العمر، وانصرف عن مزاولة الحكم، وتولى ابنه ابراهيم عرش مصر فى حياه أبيه، ولم يبق سوى عدة شهور ومات، وآلت أمور الدولة إلى عباس حلمى الأول منذ أواخر عام ١٨٤٨ إلى ١٨٥٤، وتلاه فى الحكم عمه محمد سعيد باشا الذى ظل أميرا على مصر حتى عام ١٨٦٣.

وليس بين أيدينا مادة تفيد أن هؤلاء الحكام (ابراهيم، عباس، سعيد) أقيمت لهم حفلات زفاف أو لأحد من أولادهم، ،كل ما وقفت عليه عدة سطور كتبتها صوفيا بول عن زوجة سعيد باشا، وكانت قد التقت بها فى حفلات زفاف زينب هانم. تقول: « ...وعلى يسارى زوجه سعيد باشا. إن هذه الفتاة الجذابة جديرة بألا نمر عليها مر الكرام فى صمت. فوجهها آية فى الإبداع. وقوامها الفاره الأهيف غاية فى الرشاقة، وفى سلوكها أناقة أخاذة» ولكن من أميز صفاتها طبيعة سمحة تشع فتضىء محياها المعبر الساحر، لقدتم زواجها فى العام الماضى من سعيد باشا أحد أبناء محمد على، وما أتمناه أن يصون هذه الجوهرة».

أى أن سعيد باشا تزوج من هذه الفتاة التى لم تسمها الرحالة عام١٨٤٤ ولم يسجل أحد أفراح هذا الزواج.

●●●●●

وفى مستهل عام ١٨٦٣ تولى أريكة مصر إسماعيل باشا (١٨٣٠-١٨٩٥) وكان متحضرا راقيا، ميالا للبذخ والفخفخة،

والخيلاء والعظمة، أفندينا الذى يجب أن تمضى أيامه فى نعيم وسرور، وينظر الدنيا وهى جميلة، ولذلك نقل القاهرة من أجواء العصور الوسطى إلى مشارف العصر الحديث، فابتنى القصور، ومد الجسور(كوبرى قصر النيل) وجمّل القاهرة بالحدائق وشق فيها الطرق الجديدة(شارع محمد على) ووسع عمرانها.... وقد شهدت مصر فى زمنه احتفالات وأفراحا متنوعة وكثيرة منها احتفالات افتتاح قناة السويس واحتفالات ختان ابنه ابراهيم، وأفراح الأنجال، وأفراح ابنته زينب بعد أفراح الأنجال بشهور.

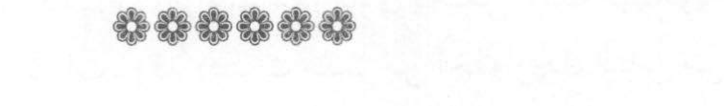
ونستثنى من هذة الاحتفالات ما يختص منها بقناة السويس لأنها حفلات قومية، فضلا عن أن المؤرخين استفاضوا فى ذكرها ووصفها، ونعكف على الأفراح الخاصة الخديوية، ونتريث عند حفلات ختان إبراهيم بيك ابن الخديو إسماعيل التى استغرقت عشرة أيام كاملة، وانفقت فيها أموال كثيرة، وإبراهيم هذا الذى يحمل رتبة البيكوية عمره حوالى عشر سنوات، وقد اهتزت مصر من أجله وجاء الناس من بلاد الصعيد ومن الأرياف وأعماق القاهرة ليحضروا حفلات ختانه.

والختان، نقطه مهمة فى تدرج الطفل ومسيرته نحو الرجولة، ومن هنا له طقوسه وأفراحه وبهجته وأغانيه، ويمكن أن يتم فى أى وقت، ولكن بعض الناس يؤخرون تطهير أولادهم حتى يحل مولد سيدى(فلان) من أولياء الله الصالحين وتفرق النذور.

تحتفل الأسرة بالختان وتتلقى الهدايا والتباريك، ولكن هذة الاحتفالات مهما اتسعت فهى فى نطاق معين، أما فى كتب التاريخ وسير الملوك والخلفاء والسلاطين لا نجد إلا الهوس والمغالاة، وكأنهم

ينتهزون ال[illegible]بات لتبديد الأموال. فقد أنفق المعز لدين الله الفاطمى مبالغ لا تعد بالأرقام ولكن تعد بالأحمال بمناسبة ختان أولاده سنه ٣٥١هـ، ويقول د. الحبيب الجنحانى فى كتابه « المجتمع العربى الاسلامى » أنه اى المعز « حمل الى جزيرة صقلية وحدها، سوى الخلع والثياب، خمسين حملا من الدنانير، كل حمل عشرة آلاف دينار، ومثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته ليفرقه على أهل عمله ».

وكان السلاطين العثمانيون يقيمون الأفراح الكبيرة، والاحتفالات الباهرة بهذه المناسبة، وكانت تستمر عدة أسابيع. ولابد أن إسماعيل باشا كان متأثرا بما كان يصنعه سلاطين آل عثمان عند ختان أولادهم.



حفلات الختان

وفى ٢٢نوفمبر ١٨٦٩ استجابت الألوف الكثيرة من شعب مصر لدعوة الخديو لهم للحضور ومشاهدة الاحتفالات بمناسبة ختان ابنه، ومن حسن الحظ أن مجلة« المقتطف » ترجمت فصلا عن القنصل الفرنسى فى القاهرة« دى ماليت » الذى شهد هذه الاحتفالات. وسجل انطباعاته عنها، ونوجز هنا ما قاله:

حضر هذه الاحتفالات حكام المقاطعات ووكلاء المديريات وكبار الأغوات ورؤساء فرق الجيش وقاضى القضاه والأشراف والبطاركة والقناصل والأمراء والعلماء ونصبت السرادقات الكبيرة فى ميدان القلعة الخارجى والداخلى وأقيمت الزينات والملاعب والملاهى. ونصب صيوان للباشا(إسماعيل) وصيوان للموسيقيين والطبالين. وكان الراقصون نحو مائة شخص، ولهم فى كل يوم من الأيام العشرة ثياب مخصوصة فاخرة بألوان مختلفة، ولم ينقطع الرقص والتمثيل ليلا أو نهارا طيلة المهرجان.

بدأ الاحتفال بسباق الخيل والجمال ولعب السيف والمصارعات، وأحضر الخديو من دمشق مصارعاً شهيراً يقاتل الثور ويصرعه. كما أحضر البهلوانيين الذين يسيرون على الحبال لمسافات طويلة ويرقصون وهم فى الهواء.

وأضىء ميدان القلعة بنحو مائة ألف مصباح كبير حتى صار الليل نهاراً، وهذه المصابيح ملونة ،منظمة تنظيماً بديعاً، وكانت الأسهم النارية والمفرقعات تطلق ليلا على أشكال مختلفة، وتظهر أمام

المشاهدين على شكل أشجار أو حيوانات من نار تجرى بين أرجل الجموع ولا تلحق ضررا بأحد.

« وكان إبراهيم بيك محاطا باتباعه وخدمه ومعلميه وقواده وحراسه ومرتدياسراويل قصيرة من الجوخ الأبيض البندقى المنسوج بالذهب فوقه دامر من المخمل القرمزى المطرز بالقصب الذهبى وعلى دائره شريط مرصع بالحجارة الكريمة فوقه جبة من فرو السمور مبطنة بالحرير الأخضر الزاهى وظاهرها منسوج بالذهب ومرصعة كلها بمئات حبال من اللؤلؤ المنضد الكبير الحجم، وهذه الجبة تضم عراها عند العنق بقفل من الذهب الإبريز عليه جوهرة كبيرة من الماس. وعلى رأسه قبعة أو قاووق عال من المخمل على لون ثوبه مغشى كله باللؤلؤ الثمين تعلوه ريشة سوداء غالية الثمن معقودة بجوهرة كبيرة من الماس. وكان يبدل ثيابه فى اليوم ثلاث مرات أو أربعا على أزياء وألوان مختلفة يظهر فى كل حفلة بشكل يختلف عن الآخر... وكان صيوانه لا يقل عن صيوان أبيه زخرفة وفخامة وزينة... وفى أعلاه هلال كبير من ذهب يسطع بهاء.. ».

ويستطرد« دى ماليت » ويحدثنا عن مدهشات المهرجان ومنها مركب يسير بقوة آلية فى بحيرة الماء ويطلق المفرقعات فى الهواء. ثم يحدثنا عن المآدب التى « لم يسمع بمثلها قط » فكان يذبح يوميا ألف من العجول والخراف والدجاج والأوز.

وكانت للخديو مأدبة يجلس عليها سبعمائة مدعو، ومأدبة ابنه يجلس عليها أربعمائة من أبناء الاعيان، علاوة على المائدة العمومية التى يجلس عليها ثلاثة ألاف. وهذه الموائد تعد مرتين فى كل يوم فى الغداء

والعشاء هذا بخلاف الموائد التى تقام داخل منازل الحريم.

كذلك كان الخديو يخصص قسما داخل القلعة تقام فيه الملاهى والمراقص والملاعب لتتفرج عليها النساء من وراء الستائر، ويقدر « دى ما ليت » عدد الذين يتناولون الطعام يوميا بعشرة ألاف شخص.

وكان الخديو يوزع النقود والذهب فى كل ساعة من ساعات النهار على اللاعبين والراقصين والمصارعين، وكان إذا قدم شخص لإبراهيم بيك زهرة أو قصيدة أو دمية يمنحه قبضة من المال، وكانت أكياس المال مرصوفة فوق بعضها بجواره، كذلك كانت حول الخديو أكياس كبيرة من النقود الذهبية والفضية تفرغ وتملأ كل ساعة، وأحيانا يأمر بعض مماليكه بنثر مافى الأكياس من نقود على الناس فيتزاحمون لالتقاطها.

وقد ختن على نفقه الخديو، من أبناء الأهالى، حوالى سبعة آلاف غلام ومنح كل مختتن قطعة ذهبية ليحفظها تذكاراً.

وفى أول ديسمبر١٨٦٥ وهو خاتمة المهرجان خرج إبراهيم بيك من القصر لابسا أفخر الثياب، وراكبا جواداً سرجه من الذهب الخالص المرصع بالأحجار الكريمة من ماس وياقوت وفيروز وزمرد. وأمامه فرق من الزمارين والطبالين وكل قواد القصر وحاشية الخديو، والحرس من الفرسان ورمّاحة وفى ركابهم الألوف من طبقات الشعب. وكان حول ابن الباشا أربعة من أبناء الأمراء وأمامهم أكياس الذهب ينثرونها ذات اليمين وذات الشمال والناس تتزاحم وتتقاتل لالتقاطها، وخرج الموكب من ميدان الرميلة وسار فى اتجاه مصر القديمة حيث ختن إبراهيم بيك فى جامع عمرو وختن معه عدد آخر من أبناء الأمراء من رفاقه، ولما عاد وضع فى

سريره. وجعلت أسرّة أخرى لمن اختتنوا معه ليؤانسوه ووزع الخديو على الحريم الحلى والمجوهرات والنقود الذهبية. ويقول« دى ما ليت »نفسه.

وقبل أن نختتم وصف مهرجان ختان ابراهيم بيك نشير إلى منظر رمزى ظهر فى الاحتفالات يمثل فكرة الشرقيين عن الختان وهو قول "ماليت": « ومن غرائب هذا المهرجان نخلة باسفة قلعت من الأرض بجذورها ونقلت إلى الميدان وغرست فيه والتفت حولها المصابيح والشموع والأنوار كأنها شجرة ساطعة وكتب عليها بأحرف من نور هذه الكلمات « لا أنمو إلا بالختان » وفى هذه الجملة نكتة بديعة أى كما أن النخلة لاتنمو إلا بتقليم أغصانها وقطعها وهكذا المرء لا يتطهر إلا بالختان ».

والغرض من عمل الختان هو التخلص من الزوائد التى لا تنفع وتساعد الطفل على النمو، وتضعه على مدراج الرجوله لأنه يطلق جسده[١] وقد أشار الشيخ رفاعه الطهطاوى(١٨٠١-١٨٧٣) إلى هذا المعنى وإلى معنى تقليم الشجرة الذى ذكره المسيو الفرنسى. وضرب الطهطاوى أمثلة توضحه وذلك من خلال قصيدة مدح فيها اسماعيل باشا وهنأه بمناسبة ختان ابنه ابراهيم يقول:

---

(١) وهناك من يقول إن الختان يطهر المرء من دنس الولادة، ويطلق الناس كلمة « طهور » على الختان، اعتقادا منهم أنه يطهر، وهناك من يرى أنه شعيرة دينية ويحتجون بختان أبى الأنبياء الخليل عليه السلام.

عن مـــــدح ابـراهـيـم أل **سنة الورى تتــقــاصــر**
عن مــهــرجـان خــتـانه **زهوا تلوح مــفــاخــر**
إن قـــيـل غـــصـن زاهـر **أو قـــيل عـــود ناضـر**
تـنـمـو الغـصـون إذا جنى **منهـــا المزيد الشــاطر**
والــزهـريـر بـوفـى الـربـا **وبـقـطـفــه يتــزاهـر**
والـطـرف إن زال القـــذى **عنه استـــضـــاء لناظر**

فهو يبين أن الغصون تنمو إذا قطع منها الغصن البعيد النافر، والعين تزداد إبصاراً إذا أزيل عنها القذى وهومن العين، وكذلك ينمو الطفل إذا اختتن وبين الشيخ رفاعة أن ذلك سُنة.

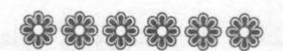
بالسنة الغراء قد **زان الختان شعائر.**

ويثنى الشيخ رفاعه على المهرجان لأنه كان مناسبة طيبة أطلق فيها السجناء، واطعم الفقراء، وظهر فيها كرم وجود الخديو.

ويذكرنا ذلك القدر، الذى اكتفينا به، مما كتبه « دى ما ليت » بما كتبته السيدة « بول » فقد كانت عيونهما لاقطة، وعباراتهما مركزة وموجزة ومفيدة، والظاهر أن وصف أفراح الزفاف، واحتفالات الختان والموالد وغير ذلك من اهتمامات الأوربيين عندما يأتون إلى الشرق، إذا رحلوا إلى بلادهم أفضوا لأهاليهم بما شهدوا. ومرد هذا الاهتمام إلى اختلاف العقائد والتقاليد والطبائع ويبدو أن المسيو « دى ما ليت » أعجب واستمتع بما رأى من ترف، وهذا يستنبط من قوله: « بأن السلطان مصطفى مع كل مجده وأبهته فى عاصمةسلطنته لم يكن المهرجان الذى

عمله فى اسطنبول عند ختان أولاده أكثر بهجة ورونقا و إسرافاً من هذا المهرجان، فقد بذر فيه الباشا (إسماعيل) أكياس كثيرة من المال».

وكأن الذى ينفق أكثر يكون هو الأفضل، ولماذا ننافس السلطان العثمانى وننفق على أفرحنا أكثر مما ينفق، إن الدولة العثمانية دولة مترامية الأطراف، وتمدها الدول والولايات التابعة لها بالأموال (الجزية) أما مصر فهى دولة زراعية فقيرة، ولا يأتيها شىء من خارجها ينميها ويكثر من ثروتها، فلماذا نتحدى السلطان العثمانى ونبدو أمام الناس أكثر ثراء وبرا. ولقد كانت عيون الباب العالى مسلطة علينا، والخديو إسماعيل ما أن نفض يديه من الاحتفالات بمناسبة افتتاح قناة السويس فى١٦/١١/١٨٦٩ حتى أقام بعد اسبوع واحد مهرجان ختان ابنه إبراهيم فى٢٢/١١/١٨٦٩ وبعد ثلاثة أعوام كانت مهرجانات أفراح الأنجال التى أحدثت خللا فى ميزانية مصر، وليت هذا المال الذى انفقه إسماعيل باشا كان من جيبه وليته كان من جيب مصر، وإنما هو مال استدانه ودفع عليه رشا وفوائد، ثم جاء إلى مصر لينثره فوق التراب أو يبدده فى ليال معدودة. وكان يكفى أن يقيم حفلا داخليا فى أحد قصوره مدة ليلة واحدة ويعفى مصر من الديون.



أفراح الأنجال

كان الخديو إسماعيل يعيش أدوار الفخامة والجلالة وكان يريد لمصر أن تكون امبراطورية عظمى كإمبراطوريات أوربا فى عصره، فكان له ذلك بفتوحاته فى وسط وشرق أفريقيا، وجعل سواحل مصر تمتد من جنوب قسمايو فى الصومال حتى بورسعيد على البحر المتوسط وهو عمل ضخم يتناسب مع تطلعاته. واستمرت أعماله فى مجال الفخامة، فأنشأ القصور المنيفة، ولست معنيا بحصرها، وذكر أسمائها، وانما أورد منها ما يتصل بموضوعنا مثل:

قصر عابدين: وكان فى الأصل بيتا للواء عابدين بك، فابتاعه الخديو منه وهدمه وهدم منازل حوله حتى صارت مساحة الأرض التى أقام عليها القصر أربعة وعشرين فدانا، وابتدأ العمل فيه منذ توليه الحكم ١٨٦٣ إلى أن سكنه عام ١٨٧٤، ويشتمل على خمسمائة حجرة وقاعة، وكان هذا القصر هو المقر الرسمى للخديويين والسلاطين والملوك من أسرة محمد على، وشهد هذا القصر الباذخ احتفالات كبرى بزواج أمراء وأميرات وملوك الأسرة الحاكمة على ما سيأتى.

وقصر القبة، ويصح أن نطلق عليه قصر الأفراح، فقد تزوج فيه عدد من الملوك وأقيمت فى ساحاته الأفراح الصاخبة، وكان هذا القصر فى الأصل للوالى إبراهيم باشا ثم تنازل عنه لابنه مصطفى فاضل، وابتاعه الخديو إسماعيل من الأخير وأجرى فيه تعديلات وأضاف اليه بنايات، وكان محمد توفيق باشا (الخديو) أول من سكنه وتزوج فيه وقصر

الجـزيرة، والجـزيرة هى جـزيرة الزمـالك، ومكانه الحـالى أرض المعـارض وحـديقـة الأسمـاك وفندق ماريوت ومسـاحتـه سـتـون فـدانا وتم إنشـاؤه عـام١٨٦٩، وكـان من القـصـور المفـضلة عند الخـديو، وأقـامت فـيـه الامبـراطوة «أوجينى» أثناء الاحـتـفـال بافـتـتـاح قناه السويس، وفى عـام ١٨٧٢ أقام الخديو كوبرى قصر النيل وربط الجزيرة بالضفة الشرقية للنيل وسـهل الاتصـال بالسراى، كـمـا شق طريق«سكة الجزيرة» بمحـاذاة النيل شرقى الجزيرة، وشهد هذا القصر جانبا من احتفالات أفراح الأنجال.

وفى قصور الخديو هذه وفى غيرها كانت تعيش أربع عشرة امرأة هن زوجـات الخديو ومحظياته، ويعنينا منهن من لهن صلة بموضوعنا مثل: شفق نور هانم التى انجبت محمد توفيق سنه ١٨٥٢، ونور فلك هانم التى ولدت حسين كـامل عام١٨٥٣، وملك هانم التى رزق منهـا الخديو بابنه حسن سنه١٨٥٤، وجنانيار هانم التى أنجبت زينب عام ١٨٥٩، وإبراهيم حلمى عـام ١٨٦٠ الذى تناولنا أفـراح ختـانه، وشـهـرت هانم أم الأمـيـرة فـاطمـة والتى ولدت عـام ١٨٥٣، ومـعظم أبناء الخديو من هؤلاء النسـاء كـان لهم أدوار فى تاريخ مصر السياسى والاجتماعى، وهـم موضوعنا فى أفـراح الأنجال، ولأن الخديو يعيش فى جو الفخامة والعظمة،فإن كل مـا يفـعله يجب أن يتـمـاشى مع الجلال والأبهـة، فإذا أقام حـفلا، أنفق مـالا كثيرا وجمع فيه علية القوم وعامتهم ليشعر الجميع بهذا الحفل، ويسجل التـاريخ أوصافه وأخباره. وبذلك يمكـن أن يضاف إلى أعمـاله الكبيـرة الأخرى.

●●●●●

كانت قد عقدت النية فى عام١٨٧٢ على تزويج أنجال الخديو إسماعيل من أولاد وبنات أعمامهم لذلك كان زواج الأمير محمد توفيق أكبر أنجال إسماعيل من أمينة هانم بنت إلهامى باشا ابن عباس الأول، والأمير حسين كامل (السلطان فيما بعد) من عين الحياة هانم بنت الأمير أحمد رفعت باشا بن الوالى إبراهيم باشا، والأمير حسن من خديجة هانم بنت محمد على الصغير ابن محمد على الكبير. وهؤلاء الذكور من أولاد الخديو، وزواج الأمير طوسون ابن الوالى محمد سعيد باشا من الأميرة فاطمة بنت الخديو إسماعيل.

واعتقد أنه أُتيح لهؤلاء جميعا مالم يتح لغيرهم من أبناء جيلهم من معاينة كل فرد لمن يكون زوجا وشريكا له فى الحياة، فالقاعدة العامة فى ذلك الزمن أن الرجل لا يرى من يقترن بها إلا ليلة الزفاف، وكانت تنتج عن هذه الطريقة مشاكل كثيرة قد تنتهى بالطلاق، أما هؤلاء الأمراء فلا أظن أنهم جروا على هذه الطريقة، فلابد أنهم كانوا يلتقون فى القصور الملكيه أثناء الاحتفالات والمناسبات والأعياد، ولا أعتقد أن زواج أمينة هانم من محمد توفيق (الخديو) كان مصادفة أو قرارا خديويا، وإنما كان نتيجة تنسيق ووفاق، وكانت طريقة الزواج من أولاد أو بنات العم متبعة من قبل، وما زالت إلى اليوم، والقرابة ليست من دوافعها فحسب وإنما عدم انتقال الأموال والإرث إلى الغرباء من دوافعها كذلك.

كان ميدانا القلعة والأزبكية مكانى الاحتفالات المصرية على نحو ما مر بنا فى عهدى محمد على وإسماعيل، وهما مكانان صالحان

للاحتفالات لسعة كل منهما، ولموقعهما المناسب، ولشهرتهما التاريخية، وإذا كان ميدان القلعة يمثل الحياة الجادة الصارمة نظراً لأن ديوان الحكم يقع فيه ولكثرة المساجد الأثريه به، فإن ميدان الأزبكيه يمثل مكان اللهو والطرب، فقد كان أكبر مغانى القاهرة، وموطن الغناء والرقص والأفراح والمجون، وتاريخ الميادين طويل وليس لنا أن نستفيض فى حكايات القلعة الحربية، والحادثات الاجتماعية بالأزبكية.

أما فى أفراح الأنجال، فقد رأى الخديو إسماعيل أن يكون القصر العالى، هو المكان الأساسى لأفراح الأنجال، والقصر العالى يقع على الضفة الشرقية للنيل فيما يسمى اليوم جاردن سيتى، وعمارات سيف الدين المطلة على شارع قصر العينى أجزاء منه. وكان أمام القصر مساحة واسعة من الأرض الفضاء (هى المنيرة اليوم) وكانت تسكن هذا القصر المنيف خوشيار هانم أفندى (توفيت عام ١٨٨٦) التى عرفت باسم «الوالدة باشا» وهى زوج الوالى إبراهيم وأم الخديو إسماعيل، وفى هذه الأرض الفضاء الواقعة فى مواجهة القصر، نصبت السرادقات، الكبيرة المتنوعة لاستقبال المدعوين من فئات الشعب والأجانب وبداخلها الموائد الفخمة وعليها أطباق الأطعمة الشهية، والقوارير المملوءة بالماء المخلوط بعطر الورد ومشروبات أخرى. وفى هذه الأرض صواوين الراقصين والموسيقيين والبهلوانيين وسائر أنواع الملاهى، ولكثرة الناس كان بعض الأثرياء يقيمون صواوين لأنفسهم لمشاهدة الملاهى والألاعيب، وكان الجالس فى السرادق يرى الألعاب، ويسمع الموسيقات المطربة، ويشهد

أنواع الرقصات من الراقصين، وكان اشهر المغنين فى هذه الاحتفالات« عبده الحامولى »(١٨٤٥-١٩٠٠) وكان شابا صغير السن، وناشئا جديدا فى عالمى الموسيقى والغناء وكان صوته الرخيم يطرد السأم، وكلامه الجميل فى تمجيد الحب نبع الطرب، ومن بين أغانيه التى أعجب بها الجمهور تلك التى تقول كلماتها « الله يصون دولة حسنك على الدوام من غير زوال »،« وقد جعل النغم الذى يؤدى به نغما جهرياً ممتد يوافق الدعاء المرموز به تحت تلك الكلمات أعجب موافقة » على حد قول خليل مطران (١٨٧٢-١٩٤٩) وكان مطران صديقا للحامولى . أما نغمه الجهرى الممتد فمما يناسب الأفراح الصاخبة حتى يسمع الجميع الغناء ويتأثر به، وكانت هناك فرقة« الفناجيلى الدمياطى » وهى فرقة مزمار شهيرة فى ذلك الزمن، وكانت تؤدى فى ناحية من ميدان الأفراح، هذا إلى جانب فرق التمثيل والحواة والجوقات المصرية والأجنبية والأراجوز.

ومن ألعاب البهلوانيين المدهشة ما صنعته سيدة حملت خروفا صغيراً وسارت به فوق حبل مشدود فى الهواء وذبحته وجزرته، وقطعته إربا وألقت بلحمه إلى الفقراء والمحتاجين، وشوهد أحد الأجانب وهو واقف على منصة عاليه وفوقه بمسافة نور باهر على هيئة القمر.

ونظمت الصواريخ فى ساحه القصر العالى، وكانت تُطلق بانتظام طيلة الليل، وتشع أضواؤها،وتتناثر شظاياها فى الآفاق، فتنير وتبهج وتجذب العيون. وقد أضيئت الساحة التى أمام القصر بآلاف الفوانيس بشكل فيه

تنسيق، وعندما تشتعل الفوانيس فى المساء تجعل الليل نهارا، ولذلك سميت هذه الساحة الواسعة «المنيرة»[١] وكانت الأنوار تنطلق منها وتشع نورا على تخومها.

ولم تكن ساحة القصر العالى فحسب التى تجرى فيها كل هذا فقد كانت الميادين الأخرى وشوارع القاهرة الرئيسة، مضاءة وفيها صواوين وفيها مغنون وطبول وموسيقات وألعاب وأطعمة.

وبينما كان الرجال يشهدون الاحتفالات خارج القصر العالى كانت حريم الأسرة العلوية فى داخل القصر مع ضيوفهن، يشاهدن الرقصات ويستمتعن بأصوات المغنيات وعلى رأسهن «ألمظ» قبل زواجها من عبده الحامولى، ويتابعن حركات الراقصات مثل« صفية وعائشة »، ومما قيل إن «الوالدة» ساكنة القصر العالى أم الخديو إسماعيل، كانت تميل إلى الفن وبخاصة الموسيقى وكان لديها فرقة موسيقية نسائية رئيستها برتبة أميرآلاى. تديرها باقتدار وهى ممسكة بعصا قصيرة، وكان أعضاء هذه الفرقة من الشركسيات والجاريات البيض المرتدية، كل واحدة منهن البنطلون والجاكتة ذات الأزرار الذهبية والمحلاة بالقصب، وكان موقع هذه الفرقة فى طرقات القصر من الداخل فى أكشاك، وترسل الموسيقى العذبة إلى من كن جالسات فى أبهاء القصر، فإذا دخلت من أ بواب القصر ضيفة عزيزة الجانب، عزفت الفرقة السلام الخديو.

---

(١) وقيل إن حى المنيرة عرف بهذا الإسم نسبة إلى المنيرة سلطانة بنت السلطان عبد المجيد وقرينه ابراهيم الهامى باشا ابن عباس الأول، وكانت تسكن قصرا فى هذا الموضع اطلق عليه قصر المنيرة.

وفى نفس الوقت كان « قصر الجزيرة » الذى استهوى اسماعيل باشا ويطيب له عمل الحفلات فيه، يضم حوالى أربعه آلاف من الطبقات العالية مثل الأعيان والأجانب مع عقيلاتهم والأمراء والنبلاء وذوى الحيثيات الرفيعة، وقد أولم الباشا وليمة تليق به وبمهنئيه، وتلته حفلة راقصة، رقص فيها الرجال والنساء على إيقاع الموسيقى الغربية واشترك فيها الشيوخ والشبان وما أن انفض الرقص حتى جلسوا لسماع الموسيقى ومشاهدة ألعاب فرقة أوربية جاءت من أوربا خصيصا لهذه المناسبة.

وفى اليوم التالى كانت هناك حفلة فى صحراء العباسية تسابقت فيها الخيول وشاهدها أقوام كثيرون ومدت فيها الموائد والأسمطة وأكل الناس ما اشتهوا من طعام.

ولا يفوتنا ذكر طلبة المدارس الذين دعاهم الخديو لسماع الموسيقى ومشاهدة الألعاب وتناول ما يطيب لهم من المأكولات.

ولك أن تتخيل القاهرة ليلا وقد سبحت فى الأضواء، وبدد صمتها الشدو والغناء من قصر الحلمية وميدان القلعة إلى ساحة عابدين إلى حديقة الأزبكية المشعشعة إلى القصر العالى والأرض الفضاء المنيرة أمامه إلى قصر الجزيرة وكوبرى قصر النيل والأنوار المنعكسة فى أمواهه، إلى قصر القبة الزاهر، والشوارع المزدانة بالأقواس المؤدية إلى هذه القصور، كل هذا يغمره النور المتلألئ المنبعث من الفوانيس اليابانية الزاهية الألوان ويحيل الوحشة فى المدينة أنسا والبرودة فى الشتاء دفئا. ألا يولد كل هذا الفتنة بالحياة؟.

كانت بداية الأفراح يوم دُعى أمراء أسرة محمد على، وكبار العلماء

والنظار والأعيان فى القصر العالى لعقد وثائق زواج الأنجال. وعلى حد قول أحمد شفيق باشا، ابتدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم، وكان الشهود يتقدمون إلى حجرات القصر ويسألون كل عروس: هل تقبلين فلاناً زوجا لك؟ وحين لا تنطق العروس حياء يتكرر السؤال إلى أن تعلن الرضا والموافقة فيوقع العقد ويوزع الشربات والهدايا على المدعوين.

وكان جهاز كل عروس معروضا فى حجرات بالقصر العالى للمشاهدة والنظر، والجهاز مكون من أشياء كثيرة من بينها أنواع الحلى المرصعة بالجواهر والماس، والأوانى الذهبيه والفضية، والمرايا وفناجين القهوة بأظرفها الذهبية المحلاة بالجواهر، وأفمام الشبوكات التى من الكهرمان المطوق بالذهب المحلى بالجواهر (لأن بعض نساء الأسرة العلوية كن يتعاطين التدخين وكانت القصور التى يقمن فيها لا تخلو من النرجيلة) وخلاف ذلك.

وكانت خوشيار هانم(الوالدة) ساكنة القصر العالى قد قدمت إلى العرائس هدايا ثمينة، وحسب قول إلياس الأيوبى، كانت عبارة عن مجوهرات سنية، وقلائد من ماس البرلنتى ومناطق أو أحزمة من الذهب الخالص، وأقمشة مطرزة باللؤلؤ، وزمرد فى حجم البيض، وملابس مطرزة باللؤلؤ والأحجار الكريمة، وآنية متنوعة من الفضة الصب الخالصة بكميات كبيرة.

أما الخديو إسماعيل فكانت هديته لمحمد توفيق عبارة عن سرير من الفضة الصب الخالصة محلى بماء الذهب الإبريز، وعواميده الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر النادر والزمرد والفيروز.

وكان جهاز كل عروس يخترق شوارع القاهرة فى أحيائها المختلفة مكشوفا ومحملا على عربات تحت حراسة من الجند تسبقه فرق الموسيقى وبعد الطواف يتجه إلى القصر المحدد لكل أمير وعروسه، ويمكن تخيل شوارع القاهرة وميادينها وقد تجمع الناس فيها واصطفوا على الأرصفة، وغيرهم أطل من النوافذ وأسطح المنازل وشرفات الشقق لينظروا جهاز كل عروس.

ويوم ١٥ من يناير ١٨٧٣ (على حد قول إلياس الأيوبى) أو ١٧ من يناير ١٨٧٣ (على حد قول شفيق باشا) كان هذا اليوم الأول لبداية الاحتفالات، وانتقلت فيه أمينة هانم أفندى زوجة توفيق باشا من قصر الحلمية حيث كانت تقيم إلى القصر العالى معهد الاحتفالات، وظلت أياما تتلقى التهنئات، وتظهر بملابس العرس بين المدعوات.

كانت عربة المرأة المهنئة تقف أمام باب القصر فيتلقاها كبير الأغوات، ويساعدها على النهوض والنزول، ويصحبها إلى داخل القصر حيث يؤدى لها سلام الخديو، وبعد أن ترد التحية تأخذها الجوارى إلى كبيرة الوصيفات المرتدية حلة أفرنجية وبيدها عصا، وتسير بها إلى الصالون، وكان النسوة الأجنبيات يعاملن بنفس الطريقة مع مراعاة اختيار وصيفة ملمة بلغة السيدة الأجنبية، وبعد تقديم واجب الضيافة، يسرن المهنئات وراء الجواري إلى صالون « الوالدة » هانم حيث تقدمهن سيدة فرنجية تشريفاتية إلى الوالدة واحدة واحدة، ثم يجلسن فى الأماكن المخصصة لهن .

بعد ذلك تبدأ زفة العروس ولها مراسيم، فكانت تصطف نساء

الأغوات ... ممسكات بالشمعدانات وعليها شموع ملونة، وتزداد الأنوار، وتخطر العروس بملابس العرس المرصعة بالماس من أعلى إلى أسفل ومحلاة بالجواهر على فرش مذهب، وعندئذ تبذر البدرة الفضية، ثم تعود وتجلس فى« الكوشة » وعندما تحيط بها النساء تبذر البدرة الذهبية، فيتعلق الذهب بالملابس، بين صيحات الصائحات وعزف الموسيقات.

وفى الثالث والعشرين من يناير١٨٧٣ ، توجهت العروس أمينة هانم إلى قصر القبة فى احتفال بهيج تسبقها وتسير حولها عدة الآيات من الفرسان يحملون الرماح والدروع والزرديات، وهم فى ملابسهم العسكرية المزينة، تتبعهم عربات التشريفة التى تجرها من ستة إلى ثمانية من الخيل لكل عربة وخلفهم الأغوات بملابس أفرنجية وهم يمتطون الخيول، وعند وصول الموكب إلى القصر، استقبل توفيق زوجه وأزاح الدواك عن وجهها.

وتكرر هذا مع سائر الأنجال، وظلت الأفراح قائمة لمدة أربعين يوما بواقع عشرة أيام لكل نجل، وقد ملأ الناس بطونهم، وشنفوا آذانهم،وأبهجوا عيونهم، ولهجت ألسنتهم بالحكايات والروايات، وكان سكان القاهرة فى ذلك أكثر من ثلثمائة الف نسمة، وما أظن أن واحد منهم كان قادرا على السير إلا وسار ليشهد أفراح الأنجال.

●●●●●

وبينما كانت الأفراح الصاخبة تدوى فى الشوارع والميادين نهارا وليلا، والمدافع تطلق أعيرتها بين حين وأخر، كانت هناك مأدبة شعرية أدبية

كبيرة فى صحيفة « الوقائع المصرية » التى كان يتولى تحريرها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى، فقد حفلت بمأدبة شعرية وافرة فى كل عدد من أعدادها، وممن هنأوا على صفحاتها الخديو والأنجال شعرا: على الليثى وصالح مجدى، ومحمد فنى، وعبد الغنى الرافعى الطرابلسى، وعلى أبو النصر، والشيخ رفاعة، وعبد الله فكرى، ومحمد عثمان جلال، وعلى فهمى رفاعة، وعبد الرحمن الإبيارى، وخليل الخورى، وحمزة فتح الله، وكل من استطاع قول شعر.

وكأنه أقيم فى هذه المناسبة مهرجان للشعر يتنافس فيه الشعراء، ويتفننون فى صياغة التهانى والمديح، وكان كثير من هؤلاء الشعراء الذين ذكرنا أسمائهم يهنؤون ويمدحون بأكثر من قصيدة. ويمكن لدارسى فن شعر المديح أن يتوفروا على هذه الأشعار الكثيرة ويدرسوها للتعرف على خصائص شعر المديح فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والموازنة بينها وبين ما سبقها ولحقها فى هذا الغرض.

ومن الملاحظ فى هذه المأدبة الشعرية أن الشعراء المهنئين كانوا حريصين على تضمين أشعارهم أسماء أنجال الخديو إسماعيل وأسماء زوجاتهم مع ذكر تاريخ الزواج بحساب الجمّل. ومن هذا قول محمد عثمان جلال(١٨٢٨-١٨٩٨) يهنئ الخديو وصهره طوسن ويشير إلى اسم ابنته فاطمة ويذكر ليلة العرس :

أجل الخديو شأنها لكريمة ... تمد صفاح الهند من حولها خدرا

إلى طوسن نجل السعيد زفافها ... فأحسن به نجلا وأنعم به صدرا

لقد خطب العليا فقلت مؤرخا ... إلى طوسن قد زفت الحرم الزهرا

فهو يذكر اسم الخديو، وطوسن وأبيه سعيد باشا« إلى طوسن نجل سعيد » ويذكر اسم فاطمة بنت الخديو عندما يقول« زفت الحرم الزهرا » فالزهرا هنا هى فاطمة الزهراء بنت الخديو والشطر الأخير من البيت الأخير بحساب الجمّل يكون الرقم ١٢٨٩هـ وهو التاريخ الهجرى للأفراح ويقابله فى التاريخ الميلادى سنة ١٨٧٣م.

وقد أكثر الشعراء من مديح الأمير حسين كامل لأنه كان رئيس ديوان المعارف عند زواجه، ومن ثم فإن العاملين فى مجال التدريس كانوا حريصين على مدحه وإطرائه مثل صالح مجدى القائل:

وأنعشت بالأفراح أمة وجودك فيها أعظم الحسنات

وهنّاك بالتأهيل مجدى مؤرخا زواج حسين بالمسرة آتى

● أى بالرفاء والبنين. ويقول على الليثى:

لله أفراح بدت بسعود عيد شامل

لابن الخديو الفتى حسين باشا كامل

ووضع الشيخ رفاعة الطهطاوى كتيبا صغيرا يقع فى اكثر من عشرين صفحة عنوانه« الكواكب النيرة فى ليالى أفراح العزيزة المقمرة » عن أفراح الانجال وضمنه قصائد ومقطعات فى مديح إسماعيل وأولاده وذكر أسماءهم مثل:

عين الحياة بهجة جاءت على وفق المراد

مذ طاب أنس عرسها أرخه بالمرغوب جاد

أما انجال إسماعيل الذين أقيمت لهم الأفراح الزاهرة، والاحتفالات الكبرى، فقد ظهر منهم الخديو محمد توفيق(١٨٥٢-١٨٩٢) واحتل

الإنجليز مصر فى عهده، والسلطان حسين كامل(١٨٥٣-١٩١٧) الذى أعلنت فى عهده الحماية البريطانية على مصر وقبلها، وتعرض للقتل أكثر من مرة من قبل الوطنيين المصريين بسبب سياسته المشايعة للاحتلال.

والأمير حسن، كان قائدا عاما للجيش المصرى الذى حارب فى البلقان وعندما تزوج من الأميرة خديجة كان من نصيبها قصر فى السيوفية ثم انتقل بعد ذلك إلى قصر فى الجيزة، وأنجب عدداً من الأولاد والبنات، وكانت ابنته زوجة لعمر طوسن، وفى ديوان« حلية الطراز » لعائشة التيمورية(١٨٤٠-١٩٠٢) قصيدة مدحته فيها وهنأته فيها بعودته من الحرب منها:

قد أقبلت بالبشر دولتك التى هى تاج آمالى وعين فخارى

لا زلت بدرا بالسعود متوجا ما اهتز غصن فى صبا الأسحار

والأميرة فاطمة بنت إسماعيل كان لها فضل كبير فى تأسيس الجامعة المصرية إذ تبرعت بأرض وأموال وفيرة، فنالت محمدة الناس، ولهذا السبب لهجت بذكرها الصحف، ومدحها طه حسين قائلا:

عشت للشرق فإن الشر ق محتاج إليك

رفع الله منار الـــــــــ علم فيه بيديك

وهب الجامعة السعـــــــ د فنالت نعمتيك

وكان الشيخ رفاعة قد هنأها وامتدحها شعراء فى أفراح الأنجال، وفى سنة ١٩٢٠ لقيت وجه ربها الكريم فرثاها أحمد شوقى قائلا:

فاطم من يولد يمت　　　المهد جسر المقبـرة

وكل نفس فى غـــد　　　ميتة فمنشـــــــرة

ويكفى فى تمجيدها مانظمه فيها ثلاثة من أعيان الأدب العربى هم :الشيخ رفاعة الطهطاوى وأحمد شوقى وطه حسين، وأقيم لها حفل تأبين خطب فيه أكابر العلماء.

وأمينة هانم زوج الخديو توفيق كانت سيدة خيّرة، ولم تكن محسنة فحسب بل كانت أم المحسنين، فقد تبرعت بأموال طائلة للجمعيات الخيرية وللأيتام والفقراء، وأنشأت على نفقتها المدارس المجانية. وهى أم الخديو عباس الثانى، ولما عزله الانجليز عن مصر عام١٩١٤ وأعلنوا الحماية وولوا حسين كامل، نفيت أمينة هانم إلى الأستانة، وفى عام١٩٢٣ سمح لها بالعودة مع غيرها، ومنع الملك فؤاد الأهالى من استقبالها، واحتج الناس على هذا المنع، وعندما عادت سنة ١٩٢٥ استقبلتها الجماهير هاتفة بحياتها، واحتفلت بها جمعية التعاون الخيرية الإسلامية بكوم الدكة بالإسكندرية، وأوفدت تلاميذ مدرستها المجانية لاستقبالها على رصيف الميناء، ولما وقف القطار الذى كان يقلها عند طنطا وهى فى طريقها إلى القاهرة استقبلها الجمهور وخاطبها شاعر قائلا :

أمـــاه أم المحسنيـــــن　　　شرفت ذا البلد الأمين

وبلادكم مصر ادخلو　　　ها بســـلام آمنيـــن

وعندما وصلت إلى القاهرة هنأها خليل مطران بالعودة قائلا :

لمقدمك الميمـون مصـر تهللت　　　وجنانهـا افترت وبلبلها شـدا

جماهير فى طول البلاد وعرضها　　　من الحافظين العهد غيبا ومشهدا

يهنىء كل منهم النفس أن يرى إلى الوطن المشتاق عودك أحمدا

هكذا كانت تستقبلها الجماهيرفى كل مكان تحط فيه، وماتت فى اسطنبول بتاريخ ١٩٣١/٨/٧ ورثاها أحمد شوقى.

●●●●●●

وقبل أن نطوى صفحة أفراح الأنجال، نشير إلى أنه بعد شهور قليلة من انتهاء هذه الأفراح زوّج الخديو إسماعيل ابنته الأميرة زينب هانم من إبراهيم باشا ابن أحمد رفعت باشا، وأحمد رفعت هذا أخو الخديو إسماعيل، وكان مقدرا له أن يكون واليا على مصر بعد موت الوالى محمد سعيد باشا، إلا أنه مات فى حادث قطار كان آتيا من الإسكندريه وسقط عند كفر الزيات، فأصبح إسماعيل هو اكبر اسرة محمد على سنا بعد سعيد باشا، فما أن توفى سعيد حتى اعتلى الخديو إسماعيل عرش مصر.

وليس بين أيدينا مادة كبيرة عن هذا العرس سوى عدة قصائد هنأ بها رفاعة الطهطاوى وابنه على فهمى الطهطاوى، وتادرس وهبى الخديو والعروسين ونشرتها مجله «روضة المدارس» ويؤخذ من هذا الشعر أن فرح عرس زينب هانم كان على نمط أفراح الأنجال، ترن فيه الأنغام، ويتمايل فيه الرجال وهم يخاصرون النساء على نمط الرقص الأوربى، يقول الشيخ رفاعة:

وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا يراقصها السينور لطفا مع السبك

فالنساء فى حفل البال أو فى ملعب الرقص، وفى الغالب كان هذا فى قصر الجزيزة، سكرى بغير خمر(طلا) ويرقصن مع الرجال بلطف، هذا

إلى جانب الأنوار الكثيرة، علاوة على إقامة حفل تتسابق فيه الخيل، إلى جانب المقاصف، والأنوار الكثيرة ،الصواريخ التى تضىء السماء وتستلفت النظر إلى أخر ذلك.

●●●●●

وإذا وازنا بين أفراح محمد على وحفيدة إسماعيل أدركنا فوارق كثيرة بين أفراح هذا وذاك، فأفراح محمد على يغلب عليها الطابع القديم، أما أفراح إسماعيل فعليها مسحة أوربية ظاهرة تتجلى فى طريقة التعامل مع المدعوين أو مع المدعوات فالمرأة تدخل على حريم محمد على ويكون شأنها شأنهن، وكثيرا ما حدثتنا صوفيا عن الحشايا أو الشلت التى تجلس عليها القادمة أو على ديوان وفقا للظروف، أما عند إسماعيل فإن المدعوّة تلقاها خارج القصور امرأة من نساء الأغوات وتساعدها على النزول من عربتها، وتدخل بها القصر فيعزف لها السلام الخديو ثم تتسلمها الجوارى فالوصيفات اللاتى يجلسنها فى صالون إلى آخر ما ذكرنا.

نشعر هنا أن كل امرأة لها دور ووظيفة تؤديها عند استقبال الضيفات، أى دقة تنظيم العمل وتقسيمه، ونشعر أن بروتوكولا موضوعا لابد من تنفيذه، وأن الايتكيت مطلوب وهناك فارق آخر فى نوع الأطعمة، فالأطعمة هنا غير هناك، صحيح أن الأطعمة كثيرة عند الرجلين، ولكن فى زمن محمد على تُقدم الأطعمة العادية من لحوم وطيور وما شابه وتوضع والناس يأكلون، أما الضيوف عند إسماعيل فإنه تقدم لهم فى وجبة العشاء مثلا: حساء منوع، صحن سمك، صحن

طعام ساخن، صحن طعام بارد، طيور مشوية، سلطة خضراء، صحن خضار مطبوخ، صحن حلويات، صحن قشدة منوعه التراكيب، مجموعة أصناف فواكه، جبن، قهوة، أشربة مختلفة، ومن بين الأشربة أنواع من النبيذ لمن يطلبها على نحو ما تحدثنا مجلة « الصباح » فهذا مالم يحدثنا به الجبرتى ولا حتى السيدة « بول » .

هذا إلى جانب أن الرجال ينضمون إلى الرجال، والنساء مع النساء سواء أكان هذا مع الاجانب أو المصريين زمن محمد على، أما فى زمن إسماعيل فالرجل الأجنبى يأتى مع عقيلته ويجلس بجانبها فى البهو الواسع بقصر الجزيرة، وليس هذا فحسب وإنما المرأة أكتافها عارية، ونحرها مكشوف، وتنعكس عليها الأضواء بل ويشاركن فى الرقص على حد قول « الأيوبى » وكان هذا من الأمور المستجدة فى المجتمع المصرى.
أضف إلى ذلك أن الحوذيين الذين كانوا يقودون العربات التى تقل العروس وجهازها كانوا عاديين سواء أكانوا من الجند أو الأهالى فى أفراح محمد على. أما فى أفراح إسماعيل فإن الحوذيين يزودون رؤوسهم بشعر مستعار مرشوش بالبودرة وكأنهم غلمان ويلبس الخدم قبعات واسعة، ويرتدى الأغوات أردية أفرنجية وبنطلونات ملونة إلى آخر ما قال الأيوبى، أما فرح الأنجال فإنه فرح حديث لا تنقصه إلا الكهرباء التى استعاض عنها بالفوانيس، وهناك فروق كثيرة أهيب بالقارئ النجيب أن يلحظها ليدرك كيف بدأت تتغير العادات والتقاليد فى فترة ربع قرن من آخر فرح لمحمد على عام ١٨٤٥ إلى أفراح الأنجال عام ١٨٧٣ .

●●●●●

ولم تذهب أفراح الأنجال أضغاث احلام، ولا التبست أخبارها وأيامها على الناس، فعدا كتاب « الكواكب النيرة . . . . . » كتب عنها إلياس الأيوبى فى كتابه « تايخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل » الذى صدر عام ١٩٢٣، وأحمد شفيق باشا فى كتابه« مذكراتى فى نصف قرن » وكان تلميذا زمن هذه الأفراح، وكتب « أمين سامى » باشا عنها فى كتابه الشهير« تقويم النيل » ولكنه لم يضف جديدا، لأنه أورد ملخصا محدوداً لما كتبه إلياس الأيوبى، وفيما بعد كتبت مجلة « الصباح » وقد رجعنا إلى هذه المصادر وأفدنا منها .

ومازال هذه الأفراح عالقة بأذهان المصريين، ويشار إليها أو يكتب عنها بين حين وآخر، وهى تعيد إلى الأذهان حفلات الفرحين الشهيرين فى التاريخ وهما أفراح زفاف بوران وقطر الندى .

ويرى بعض الكتاب والمؤرخين أن فرحى بوران وقطر الندى أقل بذخا وإنفاقا وتأثيرا من أفراح الأنجال، ويقول إلياس الأيوبى :« لا تذكر لى الحياة التى لا يقتدى بها التى قضاها أنطونيوس وكيلوبترا، لا تحدثنى بأيام أحمد بن طولون وخمارويه وموكبهما السنى وابتهاجات قطر الندى بالخليفة العباسى، فإن هذا جمعيه على ما فيه من سنا وسطوع وأخذ بمجامع القلوب ينكسف تماما أمام الأشعة المنبعثة إلى صفحات الأساطير عن أبهة الأيام وجلا لها وأعيادها فى عهد إسماعيل » . وفات الأيوبى أن يقول إن كل هذا كان على حساب الشعب الذى أرهقته الضرائب، وله أثره البالغ فى مستقبل مصر، ومستقبل الخديو اسماعيل أيضا .

عباس حلمى الثانى
زوجتاه وزفاف أختيه

ساءت أحوال مصر المالية فى أواخر عصر إسماعيل باشا بسبب الديون والقروض والضرائب الإضافية والإسراف فى البذخ، واضطرته الظروف إلى رهن أراضيه وأدى هذا الارتباك المالى إلى إنشاء صندوق الدين والمراقبة الثنائية.

ومن الخطأ الجسيم القول إن نفقات الأفراح وحدها هى سبب الأزمة المالية، فقد ارتقى الخديو بمصر ووسع حدودها، وإننا بإزائه أمام معادلة صعبة، وطرفا هذه المعادلة: النهضة المصرية الكبيرة،والتغلغل الأجنبى نتيجة الديون الكثيرة، والمحصلة أن الأجانب تعزز وجودهم بمصر إضافة إلى ضيق الدولة العثمانية بالخديو نتيجة تصرفاته مما أدى بالسلطان عبد الحميد إلى إصدار فرمان بعزل إسماعيل باشا وتولية ابنه محمد توفيق، فامتثل الخديو وخرج من مصر ولم يعد إليها إلا ميتا عام ١٨٩٥.

تسلم الخديو توفيق السلطه فى يونيه ١٨٧٩، ووجد فى قصور أبيه جاريات ووصيفات كثيرات فعمل على التخلص منهن بتزويجهن على حد قول شفيق باشا، وعاش لزوجته أمينه هانم بمفردها، ولم يقترن لا بحرة ولا بجاريه غيرها وأنجب منها عباس حلمى الثانى، ومحمد على وخديجة ونعمة ولم يتزوجوا فى حياته، وكانت أحداث الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى قد اضعفت من شخصيته، وترك القاهرة ولاذ بقصر فى حلوان أمضى فيه أيامه إلى أن مات فى ٨ / ١ / ١٨٩٢.

وكان ابنه عباس حلمى (١٨٧٤-١٩٤٤) يتلقى العلم فى النمسا، فاستدعى ليتولى الحكم، ولما كان صغيرا فقد حسب عمره بالتاريخ الهجرى ليكون مناسبا للحكم، كان عباس صبيا صغيرا ومحبا لمصر، ومتطلعا إلى استقلالها، فاصطدم مع الانجليز وكون حركة وطنية تزعمها مصطفى كامل باشا(١٨٧٤-١٩٠٨) .

وعباس كغيره من حكام مصر لا يعرف الكثير عن حياته الخاصة، وكنت أعتقد أن الخديو توفيق بطرده الحريم من قصوره وإبقائه على زوجته الشرعية، قد انتهى عصر الحريم . وكانت مفاجأة لى عندما عرفت أن عباس حلمى هذا الصبى الصغير عنده محظيات، والذين كتبوا عن عباس، وهم كثر، لم يوضحوا الجانب الذى يتعلق بزوجتيه فظل الأمر غامضا، ولا هو أشار إلى ذلك فى مذكراته التى نشرتها جريدة « المصرى » عام ١٩٥١ .

ولا فى مذكراته التى نشرت عام ١٩٩٣ تحت عنوان« عهدى » .

وقد بات معروفا أن الخديو عباس تزوج اثنتين هما : إقبال هانم وجويدان هانم،فمن هما؟.

ذكرت مجلة الهلال فى عدد ١٥ / ١٢ / ١٨٩٤ مانصه :« يعقد الجناب العالى عقده قريبا على صاحبة الدولة والعصمة إقبال هانم، جعل الله أيام سموه أفراحا وليكن ذلك القران سعيدا مثمرا بحول الله تعالى» .

ثم فوجئت بما ذكرته« الهلال » فى عددها الصادر فى ١٥ / ٢ / ١٨٩٥ تحت عنوان« مولودة خديوية » :« رزق الجناب العالى فى

١٣ فبراير الجارى بفتاة من حظيته عصمتلو دولتو إقبال هانم أقر الله عين الحضرة الخديوية بهذه المولوة الكريمة » ا. هـ

أى أنه خلال شهرين تزوج وأنجب طفلا. ولما أعدت قراءة الخبر تبينت أن دولتو عصمتلو إقبال هانم أفندى محظية، وعدت إلى صوابى، فالمحظية غير الحرّة فى حساب فترة الحمل بين الزواج الشرعى والولادة، ورجعت إلى « المؤيد » فى« ١٩ / ٢ / ١٨٩٥ فألفيت أنه فى صباح هذا اليوم تم عقد قران الخديو عباس على إقبال هانم، واحتفل بهذا الساعة التاسعة صباحا« وأجرى صيغة العقد صاحب السماحة قاضى أفندى مصر حيث كان صاحب السعادة محمود شكرى باشا رئيس الديوان التركى وكيلا عن الجناب العالى الخديو بشهادة كل من سعادة محمود فهمى باشا رئيس الديوان العربى والشيخ محمد راشد مفتى المعية السنية، وكان الوكيل عن صاحب الدولة والعصمة الحرم الخديوى المصون سعادة عبد الحليم باشا الياور الأول الخديوى بشهادة حسين فهمى باشا والماس صبرى أنماباش الخديوى » وهذا يظهر أن عقد الزواج الشرعى تم بعد أربعة أيام من إنجاب إقبال هانم بنتا، وأقيمت حفلة محدودة حضرها أصحاب الدولة الأمراء والأمير محمد على شقيق الخديو والأمير حسين كامل باشا والأمير أحمد فؤاد باشا ودولة الغازى مختار باشا وحضرات النظار وأصحاب الفضيلة حسونة النواوى وكيل مشيخة الأزهر والشيخ الرافعى والشيخ عبد الرحمن القطب من المجلس العلمى الشرعى. وبعد إجراء صيغة العقد شرف الخديو وقدمت كؤوس الحلوى، واحتفلت طوال اليوم والليلة والدة الجناب الخديوى ودعت الأميرات من الأسرة العلوية

إلى مأدبة أنس وعزفت الموسيقى الخديوية وغنى عبده الحامولى، وقد تمت كتابة العقد والأفراح فى قصر القبة.

ولا يعجب القارئ من إتمام عقد الزواج بعد أن ولدت إقبال هانم بعدة أيام فقد كانت سرية الخديو، والتسرى كان معروفا منذ العصور القديمة فى الشرق والغرب، إذ دخلت السرارى والجوارى إلى البيوت عن طريق الحروب وأسواق النخاسة، وكانت الواحدة منهن تعرف عند العرب باسم« فتاه » وإذا ولدت يقال إنها أم ولد، كما اطلق عليها اسم « أمه » والمرأة الأمة هى مانحن بصدده، وكان يقال للمولود من هؤلاء النسوة « ابن أمه » . وقد تفوقت كثيرات من هؤلاء فى بيوت الخلفاء والسلاطين والملوك وصارت لهن كلمة مسموعة وفقن الزوجات الشرعيات فى بعض الأحيان، وتولى أولادهن الأحكام،لأن الواحدة من هؤلاء لها حقوق الزوجة ووضع المرأة« مما ملكت الأيمان » يختلف عن وضع العشيقة التى تظل عشيقة فحسب فى أوربا، وكانت هناك فى البلاط الفرنسى وظيفة« الخليلة أو العشيقة الأولى والرسمية » مثل مدام بومبادور التى كانت تعامل كعشيقة دون أن يكون لها حقوق الزوجة، والمحظية امرأة من السرارى راقت فى عين صاحبها فنحاها جانبا عن الباقيات وصارت له سرية يتسرى بها ويُعترف بمولودها، ومعظم حريم محمد على وأولاده الأول من السرارى والمحظيات وهن أمهات من حكمونا نحو مائة وخمسين سنة.

وقد أنجب الخديو عباس من إقبال هانم الأمراء محمد عبد المنعم ومحمد عبد القادر وأمينة وعطية الله ولطيفة شوكت، وقد عاش الأمير محمد

عبد المنعم أما الأمير محمد عبد القادر فقد توفى فى برلين عام ١٩١٩ أثناء تلقيه العلم عن ستة عشر عاما، ونقلت رفاته إلى مصر فى ٢٣/ ١٠/ ١٩٢٣، وبالرغم من خلع الخديو عباس عام ١٩١٤ فقد سار فى جنازة ابنه سعيد ذو الفقار باشا نيابة عن الملك فؤاد ويحيى إبراهم باشا رئيس الوزراء والفريق « لى ستاك » قائد الجيش المصرى وحاكم عام السودان، وشيخ الجامع الأزهر محمد ابو الفضل الجيزاوى، ومفتى الديار المصريه عبد الرحمن قراعة وحسن البنا رئيس محكمه مصر الشرعية وشخصيات أخرى مهمة، ورثاه خليل مطران وشكيب أرسلان، أما إقبال هانم فقد انفصلت عن الخديو عباس، وأقامت فى مصر، وفى عام ١٩٤١ سافرت إلى لبنان للاستشفاء ولقيت حتفها.

أما زوجته الثانية فقد حملت اسم« جويدان هانم » وهذه السيدة كانت ساقطة من ذاكرة المصريين إلى أن أصدرت دار الهلال مذكراتها سنة ١٩٨٠، وأعادت جريدة القاهرة طباعتها بعد ذلك. وقرأت فيما كتبه الكاتبون أنها كونتيسة نمساوية أو مجرية وأن اسمها الحقيقى « ماى توروك ». وللحقيقة فإن قارىء مذكراتها لا يعرف من أين جاءت أو إلى أين تولت؟ وقد شغلت بهذه السيدة فترة وتحمست لها وكتبت عن مذكراتها مقالة فى مجلة « الثقافة » وأنا لا أعرف من هى؟ وسألت صديقى سعد رضوان (ت٢٠٠٣) مترجم مذكراتها، عن هذه السيدة وما يعرفه عنها فقال: لا أعرف عنها إلا ما ترجمته عن الإنجليزية، أما مذكراتها الأصلية فمكتوبة بالألمانية.

وبعد رحلة بحث عن هذه السيدة تشككت فى أنها « كونتيس » ومما

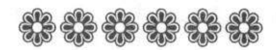
وقعت عليه كلمة جاءت فى جريدة« المقطم » بتاريخ ١٣/٥/١٨٩٦ عن حفلة بال(رقص) أقامها الخديو عباس بقصر عابدين جاء فيها ولما انتصف « الليل فتحت غرفة المائدة فدخلها الأمير، أى عباس، ومعه أميرة نمساوية وتبعه الأمراء والأعيان وتتابعت الجموع حتى الساعة الثالثة » صباحاً والراجح أن هذه هى الكونتيسة أو الأميرة النمساوية، ولكن هل الكونتيس تأتى وحدها إلى مصر وتلتقى مع الخديو بين جموع الناس؟

وكتب محمود زكى باشا أحد المقربين من الخديو مقالا نشرته مجلة « مصر الحديثة المصورة » فى ٥/١١/١٩٢٨ عن كونتيس نمساوية كانت تتردد على الخديو عباس فى قصر شيبو قلى على البسفور بالاستانه، وذهب إلى أنه كان يحبها، وهذه الكونتيس هى جويدان لأنه نشر مع المقال صورتها.

ثم وقعتُ على مقال كتبه السير ملكولم ملكويث المستشار القضائى السابق فى مجلة الفور تنيتلى الانجليزيه وترجمته جريدة« الأفكار »فى ٦/٥/١٩١٨ يتناول فيه قضية شخص يدعى « بولو » كان صديقا لعباس، ويعنينا من هذا المقال قوله:« كانت لدى الخديو عباس قائمة طويلة بأسماء الخليلات اللواتى كان من بينهن مجرية اقترن بها أخيرا فكانت زوجته الثانية، ويقول مصدر موثوق به: إنه أنفق عليها فى إحدى السنوات مبلغا يقدر بمليون فرنك أى أربعين الف جنيه » وتكمل جريدة (الأفكار) مقال ملكريث يوم ٨/٥/١٩١٨ قائلة « إن سمو الخديو طلب من بولو باشا فى ذلك الوقت خليلة أخرى فكانت المودموازيل لا نسانج الممثلة الباريسية صديقة مدام لافريجى ».

ويعنينا من هذا الكلام أن جويدان مجرية الأصل وكانت إحدى عشيقاته وليست كونتيسة، وربما كانت مثل لا نسانج تعمل بالتمثيل، وكانت المجر فى تلك الآونة التى كان فيها عباس خديويا تشكل مع النمسا دولة واحدة، ويصح القول أن توروك مجرية أو نمساوية، ولو كانت أميرة نمساوية وتزوجت من عباس لأقيمت لها الأفراح الكبيرة وتحدثت صحف الشرق والغرب عن هذه المصاهرة الملوكية.

ومهما يكن من أمر فقد تزوجت هذه المجرية من الخديو فى فبراير ١٩١٠ بحضور أحمد شوقى وفضيلة المفتى وطلقت عام ١٩١٣ بإشهاد شرعى على حد قول د. محمود عباس والعهدة عليه.



زواج خديجة هانم

وفى عهد عباس تزوجت اثنتان من أخواته هما خديجة هانم ونعمة هانم وفى هذين الزفافين كان الخديو فى موضع الأب أو ولى الأمر بالنسبة لهما، وكان يمكن أن يزوجهما دون إقامة أفراح كبيرة تتنوع فيها المباهج، وتتباين فيها المناظر، ولكنه لم يقصر فى هذه الناحية، وربما كان وراء هذا الوفاء لأختيه أنهم جميعا أشقاء ثم إن أمينة هانم والدتهم كانت على قيد الحياة، ولها كلمة وفى يدها ثروة، وما كان عباس يستطيع التقصير والنكوص،.

وكان الأمير عباس حليم ابن الأمير عبد الحليم بن محمد على قد خطب الأميرة خديجة بنت الخديو توفيق، ولما حان الوقت المتفق عليه أعدت ترتيبات الفرح وأقيمت الزينات، ومن حسن الحظ أن لمبات الكهرباء حلت محل الفوانيس، فازدادت الأنوار وغمرت ميدانى قصر عابدين وقصر القبة حيث سيقيم العروسان وتقول جريدة « المؤيد » عن سراى القبة: « كانت السراى العامرة وأرجاؤها والحديقة الغناء وسماؤها مزينة بالأنوار، ساطعة الأشعة، خافقة الرايات والأعلام، تحاكى فيها ثريات الأنوار أنجم السماء حول البدر، بل أشعة الشمس، وقد أرسلت من برج السعد، بل كأن قبة السماء أهدت قبة الأرض حلاها (الإشارة إلى قصر القبة) فازينت حتى بهرت الأبصار، وأدهشت الأنظار، وسحرت العقول، ورنحت الألباب... ».

وتحرك موكب العروس من ميدان عابدين حوالى الثالثه بعد الظهر يوم

الخميس ٣١من يناير١٨٩٥، وأطلقت المدافع، وعزفت الموسيقى السلام الخديوى، واصطفت أورطتان من الجيش لتحية العروس عند تحرك موكبها الذى تتقدمه موسيقى السوارى تتبعها أورطة من الفرسان حاملى السهام تليهم أورطة من المدفعية الراكبة وخلفهم بلوكان من الفرسان حاملى السهام ايضا ثم أورطة من السوارى تتبعها الموسيقى الخديوية الصادحة ثم رجال الحرس الخديوى بملابس فاخرة، يتلوهم كبير الحشم وعليه رداء أحمر مقصب ممتطيا فرسا ووراءه مركبة العروس مطلوة جميعها بالذهب ويقودها ستة من جياد الخيل وحولها غلمان بملابس حمراء مقصبة وعلى يمينها ويسارها قومندان الحرس الخديوى وكبار رجال السراى بملابس فارهة، يتبعهم الأغوات، وتحف بمركبة العروس العربات الخديوية التى تقل الأميرات ثم عربات أخرى تنتقل كرائم العقائل من الأسرة العلوية، وعقب كل هذا عربة محافظ القاهرة لحفظ النظام.

سار الموكب الحافل من شارع عابدين فميدان الأوبرا ثم إلى شارع كامل فقنطرة الدكة ومنها إلى شارع كلوت بك فالفجالة، وكانت أمينة هانم أم الخديو فى انتظار الموكب عند قره قول عابدين تحيط بها كوكبه من الفرسان وشاهدت الموكب الذى سار إلى الظاهر والعباسية ومر من تحت الأقواس إلى كوبرى القبة فسراى القبة، وكانت الجماهير تصطف على جوانب الطرق، وتطل من النوافذ والسطوح والشرفات، وكانت المنازل تخفق عليها الرايات، ومزينة بالزينات، أما الخديو فقد أشرف على الموكب من قصر عابدين ثم ركب عربته وسبق الموكب إلى قصر القبة ليكون فى استقباله، وكذلك فعلت أمينة هانم فبعد أن شاهدت الموكب

واطمأنت سبقت إلى سراى القبة، ولما وصلت العروس إلى قصرها أطلقت المدافع وعزفت الموسيقى ونثرت بدرات الذهب التى أمر الخديو بضربها فى الضربخانه أو فى دار صك النقود. وكان قصر القبة مزدانا بالأنوار وترفرف عليه الأعلام، وعليه أنواع من الزينات.

وأقيمت الاحتفالات فى حدائق القصر وحضرها العلماء والأمراء والنظار وقناصل الدول، وأعضاء العائلة العلوية وعلى رأسهم الأمير حسين كامل باشا، ورجال المعية.

وفى حديقة السراى نصبت سرادقات كبيرة جلس فيها الضيوف والمهنؤون ،ومدت المآدب وعليها الأطعمة والحلواء والشراب، أما المغنون والمغنيات فجلسوا فى سرادقات أخرى يعزفون على الآلات ويغنون أغانى الأفراح، وإذا كانت الصحف والجرائد التى رجعنا إليها لم تذكر أسماء المغنيين، فإن المغنيين المشهورين فى ذلك الوقت هم: عبده الحامولى ومحمد عثمان وسلامة حجازى ويوسف المنيلاوى وعبد الحى حلمى، ومن المغنيات ليلى لزمى التى كانت تسمى «طائر الجنة» وأهداها أحمد شوقى قصيدة، وامتدح صوتها خليل مطران بقصيدة، وملكة سرور التى كانت تغنى فى فرقة القبانى المسرحية وكانت مشهورة، ويرتاد الجمهور العروض المسرحية التى تغنى فيها وغيرهؤلاء وقد يكون منهم من غنى وأطرب الحاضرين.

كذلك مثلت فرقة سليمان القرداحى رواية أستير فى حديقة القصر، وكانت فرقة القرداحى من أكبر الفرق المسرحية فى أواخر القرن التاسع عشر، وكان استدعاء الخديو لهذه الفرقة للتمثيل فى أفراح شقيقته أكبر

دعـاية لهـا، ولفت الأنظار اليـهـا، ومما قـاله جـرجى زيدان فى هذا الصدد: « . . . ويسرنا الآن أن الجناب العالى قد اختاره . . أى اختار جوق القرداحى، للتمثيل بسراى القبة فى ليالى الأفراح التى يحييها الجناب الخديو احتفالا بزفاف عصمتلو دولتو شقيقة سموه فتهئنه بهذا الالتفات » وانهالت التباريك والتهانى على الخديو والعروسين، ومن هذه التهنئات قصيدة لشوقى شاعر عباس الثانى يقول فيها .

قـمـر لـنـا بأعـز هالـه — الله يحـرسـه وآلـه

ويضـاعف النعـمـى له — بسلالة أزكـى سـلالـه

مـولاى ذى أفـراحكـم — كسى الزمان بها جمـاله

بنت الملوك الفـاتحـ — ـين الصالحين أولى العداله

سـارت بهـودجـها الجحـا — فل تكبر الدنيا اختيـاله

وقد سمّى شوقى العربة الفخمة المذهبة التى كانت تقل العروس وتجرها الخيول المطهمة بالهودج وهو لا يناسب عربة العروس لأن الهودج محمل له قبة يوضع فوق جمل وسمى بالهودج لأنه يهتز وهو فوق الناقة، تسمية شوقى قديمة تبدو البداوة فيها .

وهنأ شاكر شقير العروسين بأبيات منها :

هنيئا لعباس الحليم بما نـالا — عفافاً وإكراما وعزا وإقبالا

بدولة عصمتلو خديجة هانم — سليلة أمجاد يباهون إقبالا

استمرت الأفراح لمدة يومين، وخلد العروسان فى القصر الذى تزوج فيه من قبل الخديو توفيق مع زوجته أمينة فى أفراح الأنجال، وسيشهد هذا القصر مزيدا من الأفراح وستزف فيه أعراس أخريات .

زفاف نعمة هانم

وبعد عام من زواج خديجة هانم بدأت الاستعدادات لزفاف الأميرة «نعمة» بنت الخديو توفيق وشقيقة الخديو عباس إلى الأمير جميل طوسن وأقيمت الأفراح على مدى يومين، وفى التاسع من يناير ١٨٩٦ زفت العروس من قصر عابدين إلى قصر القبة بنفس الطريقة السابقة تقريبا، وكانت الأنوار زائدة فى القاهرة هذه المرة، وفى ميدان عابدين خاصة لأن يوم زفاف الأمير وافق عيد الجلوس الخديوى الرابع فكان الفرح فرحين، وفد تكررت هذه المناسبه فيما بعد عندما تزوج الملك فاروق من ناريمان فى السادس من مايو ١٩٥١ الذى وافق عيد الجلوس الملكى على ماسنرى، وإذا كانت فرقة سليمان القرداحى هى التى شاركت بالتمثيل فى أفراح خديجة هانم، فإنه فى أفراح نعمة هانم شاركت فرقة إسكندر فرح الذائعة الصيت، ومثلت فى الليلة الأولى رواية «أنيس الجليس» وفى الليلة الثانيه رواية «أبو الحسن المغفل» وبُنى للفرقة مسرح خاص فى حديقة قصر القبة، وكان يتخلل التمثيل فصول مضحكه على ما تقول جريدة المقطم.

وبعد أن كان التمثيل الارتجالى، وتشخيص المحبظاتية البدائى يشارك فى إحياء ليالى أفراح العائلة العلوية، صارت الفرق المسرحية المعتمدة والقوية هى التى تحيى الليالى، وتسمو بذوق الجمهور المتفرج وتعرض فنا جيدا، ولما كان الشيخ سلامة حجازى هو مطرب فرقة إسكندر فرح، فلابد أنه غنّى وأدفأ القلوب، وألهب الأكف بالتصفيق.

وإذا كانت حفلات « البال » والرقص الافرنجى هى التى غلبت على أفراح الأنجال، فإن المسرح بكل ما يحمل من تصوير للمجتمع، وتربية للنفوس، وتنوير للأذهان هو الذى ساد فى حفلات أفراح الأميرتين« خديجة » و« ونعمة » وثمة فارق بين فن يسحر العيون، ويثير الغرائز، وفن ينبه الأذهان، ويجدد الأفكار .

وقد حفلت الصحف بأخبار هذه الأفراح، ووصفت الزينات، ومواكب الزفاف، وحملت كل هذا إلى الناس فى مختلف الأماكن، فقرأوا وعرفوا، وصارت هذه الأخبار مرجعا يرجع إليها الباحثون بعد أن كانوا يرجعون إلى المؤرخين وشهود العيان، وكتّاب المذكرات والرحالة، أى أن الصحيفة صارت سجلا تاريخيا .

والمتأمل لهذه الأفراح يدرك أنه اختفت منها بعض مظاهر الأفراح السابقة، فليس فيها الالعاب والملاهى والبهلوان وسباق الخيل، ولم يعد يعرض جهاز العروس وشوارها مكشوفا على عربات، تطوف بالشوارع والأحياء ليشهده الناس، كذلك افتقدنا من يصور لنا حفلات العرس داخل القصر، ويصف لنا ملابس العروس ومجوهراتها والهدايا التى قدمت إليها .

وقد افتقد الشعب نصيبه فى هذه الأفراح، فلم تذكر الصحف أنه أدبت المآدب ومدت الموائد وعليها شهى الطعام ليتناوله العامه من الناس، ولا ذُكر ان اللحوم والأطعمة وزعت على الفقراء كما فعل الباشا إسماعيل، وإنما هى أعراس رسمية تتحرك من قصر إلى قصر ويشترك فيها الجند ويحضرها الأعيان والوزراء والأمراء وهؤلاء هم الذين يستمعون إلى الغناء ويشهدون الرقص والتمثيل، ويأكلون شهى الطعام.

الملـــك فـــؤاد
بين الأميرة شويكار والملكة ناظلى

كان حكام مصر يرسلون أبناءهم إلى مدن سويسرا وفيينا وأنحاء أخرى من أوربا لتلقى العلم، وفى عام ١٨٧٨ أرسل الخديو اسماعيل ابنه الأمير أحمد فؤاد إلى سويسرا لهذا الغرض، ولم يلبث الخديو إسماعيل حتى غربت شمسه، وخرج من مصر على يخت «المحروسة»عام ١٨٧٩ ليحط فى قصر «لافوريتا» بإيطاليا، ومن هناك استدعى ابنه ليلحقه بمعهد فى تورين، ثم بالكلية الحربية، وعندما تخرج عينه الطليان ضابطا فى جيشهم، ثم ترك هذه الوظيفة وعمل فى سفارة الدولة العثمانية فى ڤيينا.

وعندما عاد عباس الثانى من فيينا التى كان يتعلم فى معاهدها عام ١٨٩٢ إلى مصر ليتولى الحكم استدعى عمه فؤاد وأسند إليه وظيفه كبير الياوران: وبعد ثلاثة أعوام ظهر أنه سيقترن بالأميرة شويكار، وفى هذا الصدد قالت جريدة« المؤيد »:« احتفل بعد ظهر الخميس ١٤ من يناير ١٨٩٥ بزفاف البرنسيسة شويكار هانم أفندى كريمة المغفور له البرنس إبراهيم أحمد باشا عروس دوله البرنس أحمد فؤاد باشا سرياور الحضرة الخديوية، وتكون حضرة العروس البهية فى عربة تجرها سته من جياد الخيل تتقدمها فرقة من العساكر، وتحيط بها فرقة من البوليس حيث يبتدأ الموكب البهى من قصر الدوبارة منزل العروس إلى ميدان عابدين فشارع عابدين فالأزبكية إلى الفجالة إلى قصر الزعفران بالعباسية، وأما

الاحتفال ليلا فى منزل دولة العريس، فسيكون بسيطا مراعاة لحالة فخامة الخديو الأسبق والده الصحية، وفى اليوم التالى قالت « المؤيد » : « اتصل بنا أن صاحب الدولة البرنس فؤاد قد أهدى إلى عروسه الكريمة تاجا مكللا بالجواهر والأحجار الكريمة ليلة زفافها عليه يساوى ألفى جنيه » .

ودام هذا الزواج ثلاث سنوات أنجب فيها الزوجان إسماعيل الذى مات وفوقية التى بقيت، ثم دبت الخلافات بينهما، وضاقت شويكار بفؤاد ونقلت شكواها إلى أمها نجوان هانم وإلى أخيها أحمد سيف الدين، وأظهرت أنه يتعمد إهانتها وإذلالها، وذهب سيف الدين إلى الخديو عباس ليتدخل فى النزاع فرفض، وتوالت الشكوى من شويكار، فاشتعلت الحماسة فى صدر أخيها، وفى يوم ٧ / ٥ / ١٨٩٨ وبينما كان الأمير أحمد فؤاد جالسا فى نادى محمد على، دخل عليه سيف الدين، وكان فى العشرين من عمره، وأطلق عله ثلاث رصاصات، أصابته اثنتان وطاشت الثالثة، وسقط الأمير فؤاد وهو يصيح« لقد مت » أما سيف الدين فقال بصوت عال : « فينش » أى انتهى الأمر، وحاول الفرار، ولكن الشرطة قبضت عليه، وطلق فؤاد زوجته بعد علاجه ودفع لها ثلاثة آلاف جنيه مؤخر صداقها، ونفقة ثلاثة أشهر، وأخذ ابنته فوقية .

وانعقدت محكمه الجنايات برئاسة أحمد فتحى زغلول، وحكمت على سيف الدين بالحبس سبع سنوات، وقد خفضت محكمة الاستئناف الحكم إلى خمس وأدخل سجن الجيزة، وذهبت نجوان هانم أم سيف الدين للخديو عباس ليعفو عن ابنها، ولكنه أبى، وترددت

شائعات مفادها أن سيف الدين مختل الذهن، ونقل إلى مصحة فى انجلترا وبقى هناك إلى سنه ١٩٢٥، أما أملاك سيف الدين فقد تولى الخديو عباس الإشراف عليها ونهبها، ولما صار فؤاد سلطانا وملكا جعل نفسه ناظرا عليها وأخذ إيرادها.

وتزوجت شويكار بعد ذلك، أما الأمير فؤاد فقد ظل عزبا، وعلى أثر حادث إطلاق النار هذا، استقال فؤاد من منصبه وأشرف على أعمال اجتماعية وثقافية وعلمية مثل توليه مديرا للجامعة الأهلية.

أما الخديو عباس فقد تأرجحت سياسته إزاء الانجليز بين الجفاء والوفاق: ولكن كراهية بعضهم لبعض كانت متغلغلة فى النفوس، وفى عام ١٩١٤ ذهب إلى الأستانة وأطلق شاب النار عليه ونجا وقُتل الشاب، وكانت أوربا تعد للحرب العالمية الأولى، وبات معروفا أن تركيا ستدخل الحرب إلى جانب ألمانيا ضد انجلترا وفرنسا وروسيا، لذلك قيل إن الانجليز هم الذين دبروا محاولة اغتيال الخديو عباس الفاشلة لإسناد الحكم إلى شخص آخر يكون موالياً لهم أو إلحاق مصر ببريطانيا، وقيل: إن الأتراك هم الذين دبروا المؤامرة، لأنهم كانوا يضمرون الزحف بجيش على مصر لطرد الانجليز وتولية تركى على مصر لا ينتمى إلى أسرة محمد على، وإذا كان الخديو نجا من القتل فلم يفلت من العزل، فقد عزله الانجليز وأعلنت الحماية على مصر، وولوا حسين كامل مع لقب سلطان، وظل فى الحكم ثلاث سنوات كانت وبالا على مصر، وكان يأمل قبل وفاته أن يتولى ابنه كمال الدين حسين حكم مصر بعده، ولكنه رفض ومات السلطان حسين عام ١٩١٧ فأسندت سلطنة مصر إلى الأمير أحمد فؤاد

فقبلها شاكرا.

كان السلطان فؤاد على شاطئ الخمسين من عمره، وكان ما يزال عزبا ورغب فى الزواج، لأنه لابد أن يكون له ولى عهد يرث الحكم من بعده وهذا هو فكر الملوك منذ أقدم العصور، بيد أن الأحوال لم تكن مهيأة، فقد تولى السلطة والحرب العالمية تحرق وتهدم وتقتل، وما أن هدأت الحرب، حتى اشتعلت ثورة ١٩١٩، وكان قد وقع اختياره على الآنسة «نظلى» بنت عبد الرحيم صبرى باشا أحد مديرى الأقاليم، ورأى أن يزوّج ابنته فوقية قبل أن يتزوج ليخلو باله لزوجته الثانية، وفى ١٤/٥/١٩١٩ زفت الأميرة فوقية إلى محمود فخرى باشا كبير الأمناء وسفير مصر فى باريس فيما بعد، وكانت هذه الأميرة جريئة متمردة، وربما يرجع هذا إلى تأثرها بأمها شويكار المزواجة، والأجواء الفاسدة التى تنفست فيها، فقد عشقت فوقية يهوديا من ليتوانيا وهربت معه ثم طلبت الطلاق من زوجها فطلقها، واعتنقت الديانة اليهودية، وتزوجت الكونت اليهودى الكسيس رودكس واسمه الأصلى جول شتين على حد قول جميل عارف ولترتيب الأوضاع الداخلية فى مصر أقبلت أو استقالت وزارة حسين رشدى باشا، وكلف السلطان محمد سعيد باشا بتشكيل وزارة جديدة، وفى ٢٠ من مايو١٩١٩ صدر مرسوم سلطانى بتشكيل الوزارة نقتطف منه المادة الأولى والثانيه:

نحن سلطان مصر .

رسمنا ما هو آت

المادة الأولى عين محمد سعيد باشا وزيرا للداخلية، وإسماعيل سرى وزيرا للأشغال العمومية والحربية والبحرية :ويوسف وهبه باشا وزيرا للمالية وأحمد زيور باشا وزيرا للمعارف العمومية، وعبد الرحيم صبرى باشا وزيرا للزراعة، وأحمد ذو الفقار باشا وزيرا للحقانية، ومحمد توفيق نسيم بك وزيرا للأوقاف .

المادة الثانية وعلى رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا .

بأمر الحضرة السلطانية

رئيس مجلس الوزراء

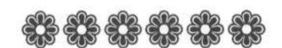
محمد سعيد

ويعنينا من هذا المرسوم السلطانى عبد الرحيم صبرى باشا الذى صار وزيرا فى وزارة محمد سعيد، وقطعا كان تعيينه فى هذا المنصب بأمر السلطان لتعزيز روابط المصاهرة بينهما .

وبعد أربعة أيام من تشكيل الحكومة، زفت الآنسة ناظلى عبد الرحيم صبرى إلى السلطان فؤاد، وكان موكب الزفاف هينا محدوداً، وانتقلت إلى قصر البستان، وكان الحفل بسيطا ولم يحضره إلا من كان ضروريا مثل الوزراء الذين ذكرتُ أسماءهم وبعض الأمراء والوجهاء والشيوخ. ولم يكن من الممكن أن يكون الزفاف أسطوريا كزفاف أنجال إسماعيل، فقد كانت ثورة ١٩ متوهجة فى الصدور، ودماء الشهداء مازالت تسيل، وقضية استقلال مصر لم تحل.

وكانت قيادة قسم القاهرة قد أصدرت أمرا فى ١١/٥/١٩١٩ يحظر فيه عقد أية اجتماعات تخل بالنظام، وجاء فى الأمر: « ..... ويعد اجتماعا مخلا بالنظام كل اجتماع يحضره أكثر من خمسة أشخاص » فلم يكن من الممكن خرق النظام، وتجميع الناس فى أفراح وإطلاق السهام النارية، والألعاب البهلوانية، والموسيقات العسكرية والمدنية إلى آخر ما يجرى فى الأفراح.

وفى اليوم التالى لعقد وثيقة الزواج، وأفراح الزفاف صدر عن القصر السلطانى البيان الآتى:



القران السلطانى السعيد
بلاغ من القصر السلطانى

« نظر حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم بعين الحكمة العالية إلى وجوب التمسك بما وصى به الدين الحنيف فى أمر الزواج والاهتمام به عملا بسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فرأى وفقه اللّه وأسعد أيامه انجاز ما عقد عليه عزمه الشريف نحو ذلك وتم عقد القران السلطانى السعيد بقصر البستان فى صبيحة أمس (يوم السبت المبارك الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ - ٢٤ مايو سنة ١٩١٩) على سليلة بيوتات المجد والشرف حضرة صاحبة العظمة السلطانه نازلى، وقد تولى مولانا السلطان أيده الله قبول العقد لنفسه بنفسه إجلالا لأحكام الشريعة المطهرة حيث كان الوكيل عن عظمة السلطانة حضرة صاحب المعالى والدها الماجد عبد الرحيم صبرى باشا وزير الزراعة حالا بشهادة كل من حضرات أصحاب المعالى محمود شكرى باشا رئيس الديوان العالى السلطانى وسعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء الحضرة المعظمة السلطانية. وقد باشر صيغة العقد المبارك حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد ناجى رئيس المحكمة العليا الشرعية بحضور حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد هارون رئيس محكمة مصر الابتدائية الشرعية وكان فى مقدمة المحتفلين بهذا العقد السعيد حضرة السمو السلطانى الامير كمال الدين حسين وحضرات أصحاب السمو محمود حمدى والأميرعلى حيدر فاضل والأمير يوسف

كمال والأمير عمر طوسن وحضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا رئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب المعالى أحمد مظلوم باشا رئيس الجمعية التشريعية وحضرات أصحاب المعالى الوزراء وكبار رجال الحاشية السلطانية رافعين أصدق عبارات التهانى الخالصة والدعوات الصادقة لعظمة مولانا السلطان جعله الله قراناً سعيداً محفوفاً باليمن والبركات عائداً على البلاد بالخير والسعادات بجاه سيد العرب والعجم القائل «إنى مباه بكم الأمم» صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين»

●●●●●

ويعد هذا البلاغ هو الأول من نوعه، فقد كانت كتابة عقود الزواج تتم داخل القصور دون صدور بلاغات رسمية بخصوصها، وقد صار بعد ذلك إصدار بلاغات من القصر السلطانى أو القصر الملكى من الأمور التقليدية، وسنرى مثل ذلك فى زواج الملك فاروق وأخته الأميرة فوزية، كما أن لقبى خانم أفندى وقادين أفندى اختفيا، وحل محلهما مع ناظلى لقب «سلطانة»، وكانت زوجات سلاطين العثمانيين نطلق عليهن ألقاب : إقبال وخاصكى وقادين، ولم يكن «إقبال خانم» أو هانم هو اسم زوجة الخديو عباس السالفة الذكر، وإنما كان لقبها، أما اسمها فعلمه عند الله، وكانت تلقب زوجات الولاة الأول من أسرة محمد على بلقب «قادين أفندى»، أما لقب سلطان أى سلطانة فكان لقب الأميرات بنات السلاطين من آل عثمان، ويتردد فى كتاباتنا لقب «الوالدة» وهو لقب عثمانى يطلق على أمهات السلاطين اللاتى كن لهن نفوذ كبير فى القصور ولها ميزانية ولها موارد، وقد أطلق هذا اللقب عندنا على أم

الخديو إسماعيل، وبالقرب من حلوان توجد عزبة تسمى عزبة الوالدة وهى عزبتها، هذا وغيره من الألقاب تجدها مشروحة فى كتاب « الدولة العثمانية تاريخ وحضارة » الذى ألفه مجموعة من أساتذة الجامعات المتخصصين فى تركيا.

وأول من لقب بلقب سلطانة عندنا هى« السلطانة ملك » زوج السلطان حسين كامل الثانية بعد أن انفصل عن زوجته « عين الحياة » التى اقترن بها فى أفراح الأنجال، ثم اختفى هذا اللقب رسميا بعد دستور ١٩٢٣ الذى بمقتضاه صار فؤاد ملكا وصارت ناظلى ملكة.

وقد نتساءل. ما الذى جعل فؤاد يتزوج من مصرية وأمامه أميرات الأسرة العلوية؟ جلية الأمر أن تركيب أسرة محمد على يُوجد الجفاء بين أفرادها، فباستثناء الخديو توفيق نجد أنهم جميعا أولاد ضرائر لأن كل حاكم تزوج أكثر من زوجة، وأولاد الضرائر فى الغالب لا يميل بعضهم لبعض، ثانيا منهم أولاد زوجات شرعيات وأولاد محظيات، وغالباً ما يتيه أولاد الزوجات الشرعيات على أولاد المحظيات، وقد مر بنا أن نظلى بنت محمد على وهى من زوجة شرعية جعلت محظية من محظيات أبيها تقوم على خدمة ضيوفها، وهذا يخلف آثاراً سيئة فى النفوس يضاف إلى ذلك ما فعله إسماعيل باشا من جعل الحكم فى أكبر أولاده بعد أن كان فى أكبر أولاد الأسرة العلوية، وهذا حرم كثيرين ممن كانوا يتطلعون إلى الحكم، الأمر الذى جعل الآخرين يحقدون عليه وعلى أولاده وأحفاده، وكان إسماعيل ذكيا مدركا لتفسخ الأسرة العلوية، فكان يعمل بقدر المستطاع على جمع شملها وذلك بتزويج خمسة من

أولاده من أبناء عمومتهم، والمصاهرة تقرب أطراف العائلة.

ومن مظاهر كراهية بعضهم لبعض: أضطهاد عباس الأول لأعمامه وأبناء أعمامه، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الأستانة أو لإسطنبول، ومن مظاهر هذا العداء: أن أفراداً من الأسرة العلوية كانوا شامتين فى الخديو توفيق عندما هزّ عرابى باشا أركان حكمه يوم عابدين، وإن بعضهم عرض عليه المساعدة، وهم يعلمون أن المصريين لو تمكنوا من الحكم لقضوا على هذه الأسرة، ولكن عداءهم لتوفيق جعلهم يقولون « علىّ وعلى أعدائى » ومن أشكال هذا الجفاء: أن عباس الثانى تزوج من محظية ومن امرأة أوربية وأمامه بنات أعمامه، وقد تزوج فؤاد من شويكار ولم يجدا راحتيها فمال هو إلى مصرية، ومالت هى إلى غيره.

●●●●●

وقد أثير حول السلطانه نازلى (١٨٩٤-١٩٧٦) أقاويل كثيرة عند زواجها وبعد رحيل الملك فؤاد(١٨٦٩-١٩٣٦)، وأشهر هذه الأقاويل هو تشكيك بيرم التونسى فى عفة ناظلى قبل زواجها، فقد تحدث عن.

العطفة من قبل النظام مفتوحة.

والوزة من قبل الفرح مدبوحة.

وقوله فى زجل آخر عن ولادة فاروق:

ربك يبارك لك فى الغلام.

يا خسارة بس الشهر كان مش تمام.

وهو اتهام صريح بأن ناظلى كانت حاملا قبل أن تتزوج، وصدّق كثيرون هذا الكلام وبخاصة أن مولد فاروق كان قبل ان يتم تسعة أشهر بعدة

أيام (كـــــــــــان تـاريـخ الـزواج فـى ١٩١٩/٥/٢٤) والـولادة فـى ١٩٢٠/٢/١١) .

ولكن كلام بيرم لا يثبت أمام النقد العلمى، ونفى أكثر من واحد أن « الوزة كانت مذبوحة » ومن هذه الأقاويل علاقة ناظلى بأحمد حسنين باشا، وهى قضيه شائكة، والأقاويل فيها متأرجحة وأغلبها يبرء حسين باشا ويدافع عن طهارته، وإذا كان الرجل بريئا فكيف تثبت الإدانة على نظلى؟ أنا لا أنفى ولاأثبت فربما كان وربما لم يكن، وقيل أنه بينهما زواج عرفى.

وربما يرجُح قول على قول إذا عرفنا أنه بعد مصرع أحمد حسنين فى حادث عام ١٩٤٦، غادرت ناظلى مصر ولم تعد إليها، أى لم تطق البقاء فى المكان الذى خلا منه، وهذا يدل على نزوع فى نفسها، وفى مثل هذه القضايا غير المحسومة تتكرر كلمة (ربما)، فربما سفرها لأسباب أخرى.

على أن هذه العلاقة ملأت الأفواه، وسببت حرجا وعارا للملك، وكانت أحد اسباب ترحيب الشعب بطرده عام ١٩٥٢.

ومن هذه الأقاويل تبرير سوء سلوكها بأنها كانت حبيسة القصور الملكية زمن الملك فؤاد، فما أن مات حتى تحررت وتبرجت وساء سلوكها، وهو قول عجيب، لأن حرية الحركة والتنقل والمسامرةو . . . بمعناها الشعبى بعيدة عن الملوك والرؤساء، فلا يستطيع ملك، فضلا عن ملكة، أورئيس أن يتجول هنا وهناك بمعزل عن الحرس، وما دام هناك حرس فالسجن قائم ولا يمكن للملكة ناظلى أو غيرها، أن تخرج من قصر القبة وتذهب إلى الكورنيش مثلا أو أى مكان آخر وتأكل تينا بشوكه وتشم الهواء وتعود

منه ولا يشعر بها أحد ،إن الحراس يرافقون هؤلاء، حتى أطفالهم، فى كل مكان .

المشكلة بين ناظلى وفؤاد هى فارق العمر الذى يصل إلى أكثرمن ربع قرن :هى ترى من النهار شروقه، وهو يرى من النهار غروبه، المرأة تميل إلى المضاحكة والمداعبة وهذا لا يكون إلا إذا كان فارق السن بينها وبين زوجها ضئيلا، ويتعذر هذا بالنسبة لناظلى لأن جلالة الملك عجوز جليل وقور، وبالرغم من ذلك فإن هذا لا يبرر السلوك الشائن للمرأة، وكم من نسوة مات عنهن أزواجهن وهن فى الصبا والجمال، وعكفن على تربية أولادهن، وأرى أن العيب فيها لأنها لم تعمل لكل شىء حسابا، فهى ملكة، وابنها ملك، وبناتها كبار ولم يتزوجن، وهناك حكومة وشعب وأجانب وصحافة، وهذا يعنى أن الأقوال مسموعة، والأفعال عليها رقباء. وهب أنها كانت سجينة، وتحررت بموت سجّانها، فإنه كان بإمكانها أن تستمتع بالحرية دون أن يصدر منها ما يريب الناس فيها .

أما أحمد حسنين باشا، فكل الذين تحدثوا عنه وصفوه بالذكاء والدهاء والقدرة على اللف والمناورة، ولو كان ذكيا وافر العقل وشريفا، لقدم استقالته من رئاسة الديوان الملكى فور سماعه ما يشينه ويهينه، ولا ينتظر حتى يأمر الملك خدمه بالقاء أوراقه وأشيائه خارج المكان المخصص له أى طرده، ولكن استمراره فى عمله، والناس فى كل مكان تنال منه يدل على سفوله ودنائته .

انجبت الملكة ناظلى من الملك فؤاد ذكرا وأربع إناث هم :

فاروق(١٩٢٠) وفوزية (١٩٢١) وفايزة (١٩٢٢) وفتحية

(١٩٣٠) وفـائقـة، وفى عـام ١٩٤٦ تركت ناظلى مـصـر بحـجـة الاستشفاء،وكانت معها الأميرتان فتحية وفايقة وتريثن بعض الوقت فى فرنسا، ثم رحلن إلى أمريكا وبصحبتهن رياض غالى أحد موظفى القنصلية المصرية بمرسيليا، وفى الغرب الأمريكى نشأت قصة حب بين الأميرة فتحية ورياض غالى انتهت بزواجهما بعد أن اعتنق رياض الإسلام على مـا قـيل، وباركت ناظلى هذا الزواج الذى كـان له وقع مـزلزل فى مصر، وبعد فترة من الزواج اعتنقت فتحية الديانة المسيحية، وفى عام ١٩٧٦ أطلق رياض غالى عليها الرصاص بعد شجار وقع بينهما، فخرت صريعة وطويت صفحاتها، ويأتى الدور على الأميرة فايقة التى اقترنت سنة ١٩٥٠ فى الغـرب الأمـريكى من فـؤاد صـادق وكـان يعـمل بوزارة الخارجـيـة ثم عـاد بعـد ذلك إلى مـصـر، وهكذا دمـرت المرأة العنيـدة المستهترة ناظلى الأسرة الملكية، أما الأميرة فايزة فقد تزوجت فى مصر من محمد على رؤوف عام١٩٤٥، وكان يعمل تشريفاتيا فى القصر ثم تنفصل عنه. وفى ستينيات القرن العشرين تسامعنا أن هذه الأمـيـرة غـادرت مـصـر إلى أمـريكا لتلحق بأمـهـا وأنهـا حـملت مـعـهـا جـواهرها وأموالها بمساعدة أحد أعضاء قيادة الثور ولم يكن هذا بدون مقابل ولم تعد مرة أخرى، وتتابعت أخبار هذه الأسرة التى طاردها القدر، فعرفنا من الصحف أن ناظلى اعتنقت المسيحية، وأفلست، وأصيبت بالشلل وهلكت عام ١٩٧٦.

أما فاروق وفوزية فسنتحدث عن أحوالهما وأفراحهما.

❁❁❁❁❁❁

الأحتفالات الكبرى
بزفاف الملك فاروق والملكة فريدة

كتبت جريدة اكسلسيور الفرنسية مقالة نشرتها الأهرام بمناسبة زواج الملك فاروق أظهرت فيها أن مصر تحتفل «بأول زواج ملكى منذ عهد الفراعنة».

ويصعب علينا تأكيد هذا القول، لأن تأكيده يحتاج إلى مراجعة دقيقة لما تم تدوينه فى أكثر من ألفى سنة، ولكن يمكن القول إن هذا أول زواج لحاكم تقام له أفراح كبيرة، واحتفالات واسعة ومتنوعة منذ الحملة الفرنسية، ويرجع سبب عدم زواج الحكام وإقامة الأفراح، إلى تجاوزهم سن الشباب أو سن الزواج عندما يصلون إلى منصة الحكم، وليس هذا فى مصر فحسب، وإنما فى الدولة العثمانية اذ يندر من أقيمت له أفراح من السلاطين أثناء توليهم السلطنة، ولكن الأمر يختلف عند الخلفاء المسلمين من العرب، فقد تكرر زواج بعض الخلفاء وهم فى الخلافة مثل المأمون والمعتضد والمقتدى بأمر الله، وهناك بعض الحكام يتزوجون أثناء ممارسة الحكم ويزهدون فى إقامة الأفراح، والملاحظ أن أكثر ما يقيمه الحكام من احتفالات إنما يكون عند تزويج أبنائهم.

وكان الملك فاروق فى السادسة عشرة من عمره عام ١٩٣٦ عندما توفى أبوه الملك فؤاد، وهو ما يعنى أنه يتهيأ للزواج فى الأيام المقبلة، وحدث فى هذا العام أن قام هو وإخواته وأمه بجولة سياحية فى سويسرا، وكانت أمه قد صحبت معها وصيفتها السيدة زينب زوج يوسف ذو

الفقار المستشار القضائى، وابنتها« صافيناز » ذو الفقار التى تصغر « فاروق » بنحو عام، وأثناء الرحلة والتجول فى جبال سويسرا وغاباتها وعلى سواحل بحيرة الليمان، تجاذب الصبيان الصغيران، واستمال كل منهما الآخر، وكانا فى عمر الحب، ولما عادت الأسرتان من الرحلة السعيدة تفاتحتا فى زواج الصبيين واتفقتا على اتمامه ، وفى ٦/٥/١٩٣٧ خرج الملك فاروق من تحت إبط الأوصياء، وتقلد سلطاته الملكية، يعاونه على ماهر باشا مدير الديوان الملكى، وكان ذلك فى عهد حكومة الوفد برياسة النحاس باشا، ورغب الملك فى أن يحبب الناس فيه، فأطلق لحيته وأخذ يؤدى صلاة كل جمعة فى مسجد، وكان الناس يقابلونه بالهتاف والتحية، وراح يزور الأقاليم والمصانع ويمضى وقتا مع العمال، ويتناول الطعام معهم، وتتكرر الهتافات بحياته، وتنشد الأشعار، وتلقى الخطب،وتنشر الصحف كل هذا مع صوره، ولم يمر وقت طويل حتى تكونت له شعبية، وعرف عند الناس بـ« الملك الصالح » ربما كان الملك وعلى ماهر يهدفان إلى تكوين شعبية تتفوق على شعبية النحاس والوفد، وعلى أية حال فإن هذه الشعبية ظهرت فى حفلات الزواج الملكى.

ومنذ أواخر ديسمبر ١٩٣٧ والصحافه تتحدث إلى الناس فيما تعده المصالح الحكومية والمدارس من احتفالات بمناسبة زواج جلالة الملك، وصار معلوما للقاصى والدانى أن القران السعيد سيكون يوم ٢٠من يناير ١٩٣٨ ، وكلما اقترب هذا اليوم زاد اهتمام الناس به.

وبالرغم من أن مدة الاحتفالات ثلاثة أيام، فإن الشعب مارس الاحتفال

قبل عقد القران بنحو اسبوعين، وقد أضيئت الميادين العامة والشوارع الرئيسة بالأنوار الكهربائية من ميدان القلعة إلى ميدان عابدين إلى ميدان الأزهار . . .إلى ميدان القبة، وعلقت الأنوار على المآذن والجوامع، وتوزعت فرق الموسيقى البلدية فى شوارع القاهرة وميادينها .

وفتحت الحدائق أبوابها للجمهور لممارسة الألعاب الرياضية وسماع الموسيقى مثل حدائق الجزيرة والأزبكية، وكانت الجموع تسير فى الشوارع وتتجه نحو قصر عابدين وتهتف :

فاروق . .فاروق . . يانور العين

ياورده حمرا ع الخدين

يا ورده حمرا ع الخدين

وفى هذه الحشود شاركت نسوة كثيرات واختلطن بالرجال وزغردن وغنين أغانى الزفاف وخرجت بعضهن عن حدود الوقار، كما أن سهر الشبان فى الحدائق وبخاصة في الأزبكية لم يكن بريئا، وفى الأفراح بصفة عامة يكثر الخارجون على العرف والحشمة والنظام، .

وازدان الجامع الأزهر قبل الزفاف بالثريات الكهربائية، والأعلام، وفرشت البسط الفاخرة، وأقيمت حفلة كبيرة، زخرت بالجموع الغفيرة من الناس وناب أحمد حسنين باشا فى هذا الحفل عن جلالة الملك .

وكان قصر القبة قد لبس أجمل حلة من الأنوار الزاهرة والزينات المختلفة وانتشرت على واجهته وأسواره عقود الزهور، وكتب عليه باللمبات الكهربائية اسم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق، واصطفت أمام القصر وعلى جوانبه وفى طرقاته فصائل **الشرطة**، وكتائب الحرس

الملكى بملابسهم الزرقاء الصافية، وكواكب الفرسان إلى جانب بطارية من المدفعية .

وفى صباح يوم الزفاف أخذ يتوافد المدعوون على القصر من كبار الشخصيات ومن رؤساء وزارات سابقين، ووزراء، ورئيس مجلس النواب، ورئيس مجلس شيوخ، ومفتى الديار، ورئيس المحكمة الشرعية، والأمير محمد على توفيق ولى العهد، والأمراء. . . ثم نزل الملك إلى غرفة مكتبه، وانضم إليه شيخ الجامع الأزهر ورئيس محكمة مصر الشرعية، وشاهدا العقد ويوسف ذو الفقار باشا والد العروس صافيناز التى تغير اسمها إلى فريدة، وتمت كتابة وثيقة الزواج الشرعية وهذا هو نصها :

نص الوثيقة الشرعية

وننشر فيما يلى نص الوثيقة الشرعية الرسمية لقران صاحبى الجلالة:

« بسم الله الرحمن الرحيم. ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. نحمدك حمدا يقرب من رضاك ويدنى من مثوبتك، ونشكرك على ما وليت من نعم ومنحت من جود وكرم، ونصلى ونسلم على أفضل الخلق سيدنا محمد وعلى آل وصحبه صلاة متتابعة وسلاما دائما.

« وبعد فقد جعل الله الزواج من سنن الفطرة وهدى الاجماع ومن به على خلقه فقال: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم: ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته.

« وقد كان من نعم الله وتوفيقه على عبده الصالح التقى الخالص لدين الله والمحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم زين الشباب، وسليل البيت العلوى الكريم، ابن فؤاد، وحفيد إسماعيل، صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر أدام الله له النعمة وبارك له فى نفسه وملكه وأعز به الدين وأحيا به سنة المرسلين إن صح عزمه على الزواج، إجابة لداعى الله، وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصطفى له زوجة مباركة وعقيلة من بيت الشرف ودوحة المجد حضرة صاحبة الجلالة الملكة فريدة.

« وفى المجلس السامى المنعقد بقصر القبة العامر فى الساعة الحادية

عشرة من صباح يوم الخميس ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٥٦(٢٠ يناير سنة ١٩٣٨) تولى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول ملك مصر بنفسه الكريمة عقد زواجه وصاحبة الجلالة الملكة فريدة المعظمة التى ناب عن جلالتها وكيلها فى العقد وقبض المهر والدها حضرة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار باشا ابن حضرة صاحب السعادة على ذو الفقار باشا على صداق وقدره.......

« وقد جرى العقد بإيجاب وقبول شرعيين على كتاب الله وسنة رسوله، بشهادة كل من حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس ديوان جلالة الملك، وحضرة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير امناء جلالة الملك، وتولى سماع صيغة العقد الشرعى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر نائبا عن مجلس بلاط جلالة الملك، وقد حضر مجلس العقد أيضا حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد إبراهيم الجداوى رئيس محكمة القاهرة الشرعية.

« وكان فى مقدمة الحاضرين حفلة هذا القران المبارك حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على ولى العهد وحضرات أصحاب السمو والمجد أمراء ونبلاء الأسرة المالكة الجليلة.

وحضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة والفضيلة رئيس مجلس الوزراء واصحاب قلادة فؤاد الأول والوزراءوكبار رجال الدولة وكبار موظفى القصر الملكى.

وقد تيمن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير شيخ الجامع الأزهر

بذكر بعض ما ورد عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم انه قال« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وقال : « اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا » « وخياركم خياركم بنسائهم » . وقيل لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : اى الناس اعظم حقا على المرأة؟ قال « زوجها » ، قيل فأى الناس أعظم حقا على الرجل ؟قال : أمه » . . . . .

وإنا نسأل اللّه سبحانه وتعالى ان يحف هذا القران السعيد بالبركات وأن يحقق به اطيب الثمرات وان يديم لحضرتى صاحبى الجلالة نعمة السعادة والهناء والتوفيق إنه سميع مجيب » .

ثم أطلق مائة مدفع ومدفع من عابدين والقبة والاسكندرية وبورسعيد ، إِ يذانا بتوقيع الوثيقة الشرعية ، وحلقت اسراب الطائرات فوق قصر القبة وقامت بألعاب وصفتها صحف تلك الفترة بأنها كانت « بديعة » وهى تشكيلات رائدة فى منطقتنا ، وقد رأينا فيما بعد عند الاحتفال بنصر أكتوبر المجيد أسراب الطائرات وهى تقوم بتشكيلات فنية رائعة . وهنأ الحاضرون جلالة الملك ، ثم وزع موظفو القصر على المدعوين علب من الذهب الخالص ملئت بأنواع الحلوى ، أما أصحاب الفضيلة فقد وُزع عليهم شيلان من الكشمير زيادة على العلب الذهبية .

وبعد انصراف المدعوين أهدى الملك العروسة نيشان الكمال المرصع وأهدى إلى والدها الوشاح الأكبر من نيشان النبل ،

وفى الخامسة مساء خرجت جلالة الملكة فريدة من قصر الفريد شماس بالكوربة مصر الجديدة (آل فيما بعد لصقر بن سلطان أمير الشارقة وهو شاعر وكان يدعونا اليه) وبصحبتها الأميرة نعمت مختار

وعلى رأسها طرحة بيضاء من التل » المزركش بالفضة، وقد ارتدت ثوبا أبيض مطرزا بالفضة الخالصة وذيله يبلغ طوله خمسة أمتار حمله أربعة من الأطفال يلبسون ملابس بيضاء، واستقلت سيارة ملكية حمراء، خلفها سيارات أخرى تحمل وصيفات الشرف، وانطلقت العربة فى اتجاه قصر القبة يحف بها ضباط الشرطة، وعلى جانبى الطرق احتشدت الجماهير وهى تلوح بالمناديل وتهتف بحياة صاحبة الجلالة.

وعندما وصلت العروس ألى القصر، كان الملك فى انتظارها بملابس التشريفة العسكرية وملتحيا ويحيط به كبار رجال البلاط الملكى، وعزفت الموسيقى السلام الملكى، ثم اتجها إلى جناحهما الخاص، وبعد استراحة قصيرة نزلا إلى حديقة القصر فى موكب يحيط به الحرس وأعضاء أسرتى العروسين، وأكلا من الفطيرة الملكية ويبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار ونصف وقطرها متر.

أما فى الشارع المصرى فقد تحرك « موكب الزهور » يتقدمه فرسان العرب من ميدان عابدين إلى ميدان القبة لتقديم أجمل الورود، وأندى الزهور إلى السراى الملكية، وهذا الموكب عبارة عن سيارات كثيرة تتنافس فى تنسيقها وتجميلها. البيوت المالية والشركات التجارية والأندية الرياضية.... إلى آخره، وتحرص كل سيارة على إظهار الجهه التى تمثلها، فمصلحة التليفونات ترسم على سيارتها التليفون، وكلية الشريعة ترسم آيات قرآنية وهكذا.

وعلى النيل عند كوبرى اسماعيل (كوبرى قصر النيل) ناحية الجزيرة، أقيمت مهرجانات كبرى اشتركت فيها بواخر شركة مصر

للملاحة النهرية وسفن شركتى كوك والأنجلو أمريكان وساهمت فيه النوادى الرياضية، وجرت الفلايك والزوارق فى النيل وهى مزينة بالأنوار والأزهار.

وعلى مدى ثلاثة أيام أقيمت حفلات فخمة فى قصر عابدين حضرها فى كل ليلة ألف وخمسمائة من كبار رجال الدولة والأعيان والأمراء، والهيئات الرسمية، ورجال السلك الدبلوماسى.

وفى اليوم الثانى تجمعت وحدات الجيش فى ميدان المحطة ثم توجهت إلى قصر عابدين، وفى الساعه الثالثة جاء جلالة الملك تحرسه حوالى ثلاثين طائرة، مرتديا بذلة المشير العسكرية، يحيط به كبار الضباط. ورابط الجيش أمام الشرفة الملكية، وألقيت الأناشيد الحماسية وعزفت الموسيقى، وقدم الجيش التحية، وامتلأ الجو بالهتاف الداوى وزغاريد النساء، وألقت الطائرات البطاقات الجميله فى الشرفة التى يجلس فيها الملك،ووُزع على الضباط نسخ من القرآن الكريم وأدوا يمين الطاعة وأيديهم على المصاحف وفى اليوم الثالث اجتمعت فرق الكشافة والمرشدات والفرق الرياضية وسرب من الطائرات المدنية فى ميدان عابدين وقدموا التحيات والتهنئات للملك، وأقيمت حفلات البرجاس والفروسية فى عدة أماكن، وبخاصة فى ميدان سباق الخيل بمصر الجديدة، وامتلأت مدرجات الميدان بالجماهير من العظماءوالوزراء، وتسابق الفرسان وأظهروا فروسيتهم وحازوا إعجاب الحاضرين، واشترك فى ذلك السباق الأعراب وفرسان من الصعيد.

ولم تقتصر احتفالات القاهرة على سكانها، وإنما زحفت إليها جماهير

من الأقاليم للمشاهدة والاستمتاع، ونجم عن ذلك ارتفاع أسعار المأكولات والمشروبات وامتلاءالفنادق بالنزلاء، وازدحام المواصلات مما أحدث رواجا وانفراجا، ومما ساعد على زحف الجموع إلى القاهرة أن حكومة محمد محمود باشا عطلت جميع وزرات الحكومة بجميع أنحاء القطر، واعتبر يوم الزفاف يوم أجازة أو عيداً قوميا، كذلك يسرت هيئة السكك الحديدية انتقال الناس من جميع الأقاليم بتخفيض أجور القطارات بمقدار ٧٠٪ (سبعين فى المائة) لكل من يرغب فى زيارة القاهرة والاشتراك فى مباهج حفلات الزفاف، وبدأ هذا التخفيض قبل الزفاف بيومين واستمر بعده بيومين، وشاركت الأقاليم فى الاحتفالات، وزينت بنايات الحكومة والمصالح بالكهرباء، وأقيمت السرادقات، ففى الإسكندرية أضىء ميدان محمد على (المنشية) وتم استعراض الجيش بطريقة احتفالية ومرت وحداته فى الشوارع الرئيسة تتقدمها جوقات الموسيقى، وعلى هذا النحو أو نحو مختلف احتفلت المدن الكبيرة مثل أسيوط وجرجا والمنصورة وبنها ودمياط وشبين الكوم والفيوم ودمنهور وغيرها والمدن الصغيرة مثل بلبيس وملوى وقليوب وطما ومنيا القمح وميت غمر وسمنود وغيرها بهذه المناسبة.

ويعتبر الزفاف الملكى عيدا للفقراء بما نالوه من طعام وكساء، وكان الوقت شتاء والجو بارداً، وما أحوج الأجسام للأطعمة والملابس، فقد أمر الملك بتقديم الطعام لكل فقراء القاهرة على نفقته، فأقامت نظارة الخاصة الملكية عشرة سرادقات لهذا الغرض فى ميادين السيدة زينب والإمام الشافعى والمشهد الحسينى والرصدخانة بالعباسية وبجوار الشيخ عبد الله

بعابدين وأمام مسجد أبو العلا ببولاق وميدان فم الخليج بمصر القديمة وروض الفرج والحسينية والجيزة، وكان الطعام يقدم عند الغداء والعشاء، ووزعت وزارة الزراعة على نزلاء الملاجئ فى أنحاء مصر كميات العسل المدخرة لديها من انتاج مناحل الحكومة، وأقامت الأميرة نعمت مختار بنت الخديو إسماعيل وعمة فاروق زينات باهرة على قصرها فى المرج وأطعمت الفقراء ثلاثة أيام ووزعت عليهم الكساء، وتبرع الأغنياء ووزارة الأوقاف ومحلات صيدناوى بأموال وأقمشة للفقراء، وأقامت الأميرة منيرة حمدى الزينات الفاخرة على قصرها بالجيزة ويعلوه التاج الملكى، وأمرت بنحر الذبائح وتوزيعها على أربعة آلاف فقير، وتبرع سلفاتور شيكور يل بيك بمبلغ ٢٥٠ جنيها لإطعام خمسة وعشرين ألف فقير بمطاعم الشعب، وتبرع أحمد عبود باشا بمبلغ ١٥٠ جنيها لإطعام خمسة عشر ألفا بمطاعم الشعب.

وتبرع جلاله الملك بمبالغ للجمعيات الخيرية مثل الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية العروة الوثقى بالإسكندرية وجمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية وجمعية المحافظة على القرآن الكريم، والجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس والجمعية الخيرية للأقباط الارثوذكس وغيرها من الجمعيات.

وفى هذه المناسبة قرر مجلس الوزاراء إعادة طلبة الجامعة المفصولين الذين حوكموا تأديبيا، وساعدت الجمعية الخيرية الإسلامية عشر فتيات على اتمام الزواج، ودفعت رسوم شهادة اتمام الدراسة الابتدائة لعشرين تلميذا وتلميذة، كما وزعت الف ومئتى جنيه على الفقراء. وهناك

شركات أعادت المفصولين إلى أعمالهم، وشركات أخرى رفعت أجور بعض عامليها وكل هذا من أعمال الخير والبر، وفى الأقاليم أقيمت سرادقات لإطعام الفقراء وتوزيع الكساء عليهم وقد لحظ الأجانب ومراسلو الصحف فى مصر أعمال البر هذه، وتحدثت بها صحفهم، ومن هذا ما كتبته «التايمس»: «إن الأمر الذى يدعو إلى الاغتباط فى هذه الحفلات ما أظهره المصريون والأجانب من البر بالفقراء، فلم تقدم الأطعمة والملابس إلى الوف من الطبقات الفقيرة فحسب، بل تبرع الكثيرون بمبالغ طائلة من المال للمستشفيات وغيرها من المعاهد الخيرية».

وأعمال البر والخير هذه هى أبهج ما فى أفراح الملك، على أن إطعام الناس كان وما زال أحد مظاهر الأفراح.

●●●●●

وقد قدمت بهذة المناسبة هدايا كثيرة ونفيسة ونادرة لجلالة الملك ولجلالة الملكة من داخل مصر وخارجها، ويحسن أن نذكر بعضها :أهدى جورج السادس ملك بريطانيا بندقيتى صيد من أحدث طراز وأدوات ألعاب وقدم ملك السويد نيشان السيرافان، وأهدى ملك اليونان الوشاح الأكبر من نيشان سان سوفير، وأرسل هتلر سيارة مرسيدس من نوع كابريوله يستعمل هو مثلها وحمل رسول جمهورية فرنسا إلى جلالة الملك طقماً ثميناً من خزف سيفر ومرآة لجالة الملكة، وأهدي ملك بلجيكا بندقيتين إحداهما ذات خمس طلقات ومنقوشة بالذهب الأصفر والأخضر والثانيه من النوع السريع الطلقات لصيد الوحوش،

وقدم رئيس جمهورية تشيكوسلو فاكيا الوشاح الأكبر من نيشان الأسد الأبيض، أما الملك السعودى فقد أهدى خيولا عربية أصيلة.

أما الهدايا الداخلية فكانت عبارة عن: سيف أثرى من الذهب وطبنجتين أثريتين منقوشتين بالذهب قدمتها القبائل العربية، وشمعدانين من الفضة قدمهما بطريرك الروم الأرثوذكس، وصندوق خشبى ثمين يحتوى على قبعتين عليهما شارة اتحاد جمعية الإسعاف، وصندوق للحلى مصنوع كصندوق الملكة« تى » زوج أمينوتس الثالث أحد ملوك الأسرة ١٨ وفى الصندوق كراسة من ورق الغزال محلاة بالألوان الذهب، وسيف ثمين قبضته من الذهب الخالص ونقش علية التاج واسم الملك من الجيش المصرى.

وأهدت العائله المالكة هدية ثمينة وصفتها جريدة الأهرام بقولها : « صينية من الذهب الابريز حليت زواياها الأربع بزهور متشابكة من الماس ونقش فى وسطها التاج الملكى واسم الملك بالماس وعلى الصينية كأسان للشربات من الذهب الخالص بغطائهما وصحنيهما وكلها من الذهب المنقوش ومسبحة مزدانة حباتها بالألماس والأحجار الكريمة »، وقدم اللواء محمد حيدر مدير مصلحة السجون بندقيتين من صنع المصانع الهولندية، وقدمت جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية نموذجا مجسما لمستشفى الجمعية من الفضة والذهب الخالصين وارتفاعه ٣٠سم وعرضة متر ونصف مضاء من الداخل بالكهرباء، وأهدى بطريرك الأقباط الأرثوذكس تاجا من الذهب الخالص أما جلالة الملكة، فقد قدمت لها الملكة ناظلى خاتما كان أهداة أحد السلاطين العثمانيين

للخديو إ[illegible]، وأهداه إسماعيل إلى ابنه فؤاد، وأهداه فؤاد إلى ناظلى وأهدتها الأميرة نعمت مختار بندا نتيف وسوار من الماس، وقدمت لها العائلة المالكة صينية من الذهب الخالص مرصعة الجوانب بالماس وطرحة كانت أهدت ثلاثا منها الإمبراطورة أوجينى لكريمات الخديوى اسماعيل وغير ذلك (راجع الأهرام وكوكب الشرق في فترة الاحتفال بالزواج الملكي) .

وقد كوّن الملك من هذه الهدايا والتحف متحفا، وأضاف إليه أشياء اشتراها أو أهديت إليه فى مناسبات أخرى، وعندما طرد من مصر ترك كل هذا فأين ذهب؟

●●●●●

وليست هناك أفراح بغير غناء فالغناء والفرح مترادفان متلازمان، كذلك فإن الغناء أنسب الوسائل لإظهار الزواج وإشهاره لذلك يمثل حلقه اتصال بين الزوجين أو العروسين والناس، والغناء من شأنه يجعل الفرح حيويا محسوسا بما يحدثه من سرور، ويثيره من تصفيق وتهليل وما يضعه على الألسنة من صيحات الاستحسان والإعجاب .

وقد راعى منظمو حفلات الزفاف الملكى تباعد أطراف القاهرة، فأقاموا ثلاثة سرداقات كبيرة فى العباسية وقصر النيل والأزبكية، وغنى فيها على مدار الأيام الثلاثة محمد السبع وعبد اللطيف البنا وسيد الصفتى وعبده السروجى وأحمد عبد القادر وغيرهم هذا إلى جانب ما كانت تذيعه الإذاعة من الأغانى لكى يستمع الناس للغناء فى كل مكان، ومن هذه الأغانى « نشيد الزفاف الملكى » الذى ألقته سعاد محاسن .

الكون أصبح متهنى في يوم زفاف الملك
والعندليب بيغنى يا مصر ما أجملك

ومن هذه الأناشيد مالحنه زكريا أحمد ومنه.

ارفعى يا مصر أعلام الهناء وانشدى يامصر فى الكون الصفاء
وابعثى من نورك الهادى الضياء قد بدا البدران فى أفق السماء

أما فى حفلات قصر عابدين، فقد غنت أم كلثوم نشيدا من تلحين السنباطى، وأُلقى موال على النغم البلدى بمصاحبة الأرغول نظمه كامل الشناوى ويخاطب فيه الملك، قائلاً

يا واحة القدر ليلة القدر يوم عيدك
ترتلك مصر غنوه حلوة وتعيدك
يا شمسها فى النهار يابدرها فى الليل
ياسيدها . ياعيدها عيد الدنيا يوم عيدك

ولم تقتصر احتفالات الزفاف الملكى على ما ذكرناه انما امتدت إلى الأدب وأدباء ذلك العصر، فقد تحدثوا فيما يمكن أن نسمة «أدب الزفاف »أى ما يثيره الزفاف من خواطر نثرية وشعرية، والتهانى بالأعراس فن قديم ويدخل فى باب المديح .وإذا كان المدح فيه افتعال وتصنع، فإن التهانى بالزواج أقرب إلى النفس، ومما تتجاوب معه العواطف والمشاعر لأنه موضوع إنسانى، ومن خصائص أدب الزفاف بساطة المعانى، وسهولة العبارة، والثناء على جمال العروس وكمالها، ومدح العريس بالخلق الكريم والرجولة والذكاء، والدعاء بالسعادة، وقد يحرص بعض الشعراء على تضمين اسم العريس أو العروسة فى شعره، ويستوحى منه معنى،

فخليل مطران عندما يخاطب الملكة فى قوله:

فى كل قلب عرشه متمكن　　لكن عرشك يا مليكة قلبه

عرض النظام فكنت فيه فريدة　　ولآلئ العصر الغوالى حبه

فاروق فى السن النضير عاهل　　ينعت مواهبه وأجنى لبه

فهو يضمن البيت الثانى هنا اسم الملكة « فريدة » ويستوحى منه معنى التفرد أو عدم المماثلة أى أنها فريدة من نوعها وليس هناك من يماثلها، وفى البيت الأخير يبين أن الملك فاروق وافر العقل بالرغم من صغر سنه.

ومما قاله سيد قطب فى مدح الملك وتهنئته والدعاء له:

أنت يا فاروق خير خالص　　بينما الخير مشوب فى الزمان

من ضمير الشعب فى يقظته　　من مناه فى أغانيه الحسان

صاغك الله سناء وسنى　　صاغك الله وأعطاك الأمان

كل يوم أنت فيه مهرجان　　عاش فاروق ودام المهرجان

ومن الشعراء الآخرين الذين قالوا فى هذه المناسبة على محمود طه، وأحمد فتحى (شاعر الكرنك) ومحمد عبد الغنى حسن(عضو مجمع اللغة) وفخرى أبو السعود وغيرهم.

وتناول الزفاف عدد من الكتّاب فى الإذاعة المصرية منهم د. محمد حسين هيكل وأحمد أمين والمازنى وأنطون الجميل، ومما قاله طه حسين:« المصريون مجمعون على حب مليكهم لأنهم يرون فيه صورة بارعة لمصرهم الخالدة ورمزا كريما لوطنهم العظيم..... وهم يرون فى شخصه العظيم، واسمه الكريم أمنية صدقت وأملا تحقق.. ».

ومن أخبار هذا الزفاف ما قامت به مصلحة البريد من عمل طوابع تذكارية تتضمن صورة الملك والملكة وما سجله ستوديو مصر من مناظر الاحتفالات والمهرجانات والزينات التى أقيمت بهذه المناسبة فى فيلم تم عرضه بسينما تريومف بمصر الجديدة، علاوة على شريط سينمائى ناطق سجلته دار الكتب عن حياة الملك من بدء نشأته إلى يوم زفافه وتم عرضه.

●●●●●

والملكة فـريدة ولدت بالإسكندرية فى ١٥ / ٩ / ١٩٢١، وتلقت تعليمها فى مدرسة نوتر دام ديسون بالاسكندرية، وأمها السيدة زينب حفيدة محمد سعيد باشا الذى تولى الوزارة مرتين وأمضت فريدة نحو عقد من الزمان فى عشرة الملك فاروق وأنجبت منه ثلاث بنات هن فريال وفوزية وفائقة، ودبت الخلافات بينهما وطلبت الطلاق فطلقت فى ١٧ / ١١ / ١٩٤٨، وتنقلت بين مصر وأوربا، وعملت بالفن، وعرضت لوحاتها فى عدة أماكن بأوربا ومصر وكانت تقطن بشقة فى المعادى مكونة من حجرتين وصاله تشاركها فيها أمها، بعد أن كانت تسكن فى أفخم قصور مصر وسبحان مغير الأحوال، وتوفيت فى ١٧ / ١٠ / ١٩٨٨، ووضعت عنها لوتس عبد الكريم كتابا عرض لجوانب من حياتها.

●●●●●

وإذا كان لنا من تعليق على هذا الفرح، فإننا نعتبر أفراح زفاف الملك فاروق هى أكبر أفراح مصر فى القرن العشرين، وهو بأى مقياس بعد من الأفراح الكبرى فى التاريخ، وقد قامت الطبقات الشعبية بالدور الأكبر فيها، وأية أفراح لا يشارك فيها الشعب تمسي ضعيفة وتتساقط من الذاكرة بمضى الوقت. وبطبيعة الأحوال حضر هذه الأفراح الأمراء والنبلاء والوزراء ومن كان فى مستواهم، ولكن هؤلاء لا يحيون فرحا، ولا فائدة منهم ولا ضرر، ذلك أنهم كانوا يذهبون إلى قصر عابدين، ويجلسون فى جمود وبرود على مقاعد وينتظرون ما يقدم إليهم من طعام وشراب، وهذه المشاركة الضئيلة لا تصنع فرحا، وإنما الطبقات الشعبية هى التى صنعت الأفراح الخالدة، وفى أفراح فاروق كانوا يخرجون فى مسيرات صاخبة بالآلاف المؤلفة ويملؤون الشوارع والميادين صياحا وهتافا، ففى الليلة السالفة على زواج الملك توجه آلاف الأزهريين إلى ساحة عابدين وهم يرددون فى حماس:

فاروق الشعب بيحييك   فاروق الأمه تفديك

فاروق الأزهـــر قاطبة   باسم الاسلام يهنيك

بينما تتجه مسيرة أخرى إلى قصر القبة، ويرتفع صياح من فيها وهم يهتفون:

مبروك يا ملكنا مبروك

مبروك مبروك مبروك

واحد يقول هذا والآلاف تكرر القول، والمسيرة تتحرك، والنساء تزغردن والناس يطلون من النوافذ والشرفات.

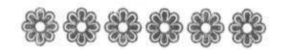
وتكرار المسيرات الشعبية الارتجالية العفوية مع الصياح والهتاف والصخب والهيص، والزغاريد، هو ما يصنع الفرح، ويلفت نظر الأجانب والصحافة الأجنبية، أما الوزراء والأمراء ومن كان من طبقتهم فوجودهم فى الأفراح مثل وجودهم فى الجنازات، لا يصنع فرحا ولا يوقع فى النفس عزاء.

وفى هذا الفرح ظهرت لأول مرة صورة الملكة فى الصحف وعلى طوابع البريد، وصار فى يد كل شخص صورة الملكة، صحيح أن بنات الخديو اسماعيل وزوجات أبنائه التقطت لهن صور فى أفراح الأنجال، ولكن هذه الصور لم تنشر إلا بعد زمن طويل، وبعد أن تطور الفكر المصرى، وليس هذا فحسب فقد ظهرت الملكة نفسها مع مليكها لأول مرة فى ميدان عابدين وهما يستعرضان الفرق الرياضية.

وإذا كانت الأفراح السابقة لم تتجاوز القاهرة، فإن أفراح الملك فاروق اشتركت فيها جميع مديريات (محافظات) مصر، بل تجاوزت مصر إلى أوربا، فقد قامت المفوضيات والقنصليات والجاليات المصرية فى الدول الأوربية بالمشاركة فى هذه الاحتفالات، وذلك بإقامة الزينات فى المفوضيات، وكان وزير مصر المفوض فى كل مفوضية يعنى باقامه حفلات الاستقبال والترحيب بالمهنئيّن من الأوربيين، كذلك كان ابناء مصر من أفراد الجاليات وطلاب البعثات يذهبون إلى مفوضياتهم فى كل قطر ويحتفلون، ففى برلين أقامت المفوضية المصرية وليمة عشاء ودعوا إليها ممثلى الهيئات الألمانية، كذلك أقامت الجالية المصرية فى برلين حفلة شاى كبرى ودعوا إليها صحفيين وأساتذة جامعات.... ومن هذا كثير... ولم يحدث هذا من قبل، وقد استفاضت الصحافه المصرية فى

الحديث عن حفلات زفاف الملك بطريقه لم تحدث من قبل، وتجاوزت ذلك ونقلت لنا مقتطفات مما قالته الصحف الأوربية عن حفلات الزفاف الملكى، كذلك ظهرت أعداد كاملة من مجلات عن هذا الزفاف مثل العدد الخاص الذى صدر من مجلة «المصور» ونفد على الفور، والعدد الخاص الذى صدر من مجلة «الرسالة» وكتب فيه كبار الكتّاب وقد أفادت أفراح فاروق من المخترعات الحديثة والتطور الصناعى، مثل انتشار الكهرباء وكثرة المواصلات وامتدادها داخل القطر مما ساعد على السهر والتنقل والاحتفال، وأفادت من الإذاعة المصرية التى أذاعت لأول مرة أناشيد زفاف خاصة واستخدمت مكبرات الصوت لتصل الأغانى إلى أبعد مدى ممكن مما يُشعر الجميع بأن شيئا مهما يحدث فى مصر.

وكان الفاروق يرغب فى أن يكون زفافه يوم ميلاده فى ١١ من فبراير ١٩٣٨ ولكنه غير رأيه وجعله يوم ٢٠ من يناير لتكون هناك مناسبة أخرى لاحتفالات أخرى، فبعد ثلاثة أسابيع بالضبط بدأت احتفالات عيد ميلاد جلالة الملك وليس بالضرورة أن تكون واسعة النطاق مثل احتفالات الزفاف.



أفراح الأميرة فوزية ومحمد رضا شاه بور

في وقت سابق قرأت مسرحية وضعها الشيخ أحمد أبو خليل القباني(ت ١٩٠٢)، ودعاها «رواية الأمير محمود نجل شاه العجم» وهي مزيج من الشعر والنثر المسجوع وفيها يعشق الأمير محمود صورة فتاة مرسومة على ورقة واعتراه «في حبها الوجد والأرق » وهام بها عشقاً، ولما علم أبوه الشاه ذلك قال له :« ما هذا الزيغ يا محمود الذي أخرجك عن الوجود؟ أسمع أن أحداً من الناس عشق صورة قرطاس؟ ولكن العشق دفع الأمير محمود إلى أن يهيم على وجهه ويتنقل في الدول بحثا عن صاحبة الصورة بعد أن أباح له أبوه ذلك. وبعد أسفار ومعاناة يقع على زهر الرياض صاحبة الصورة ويتضح أنها ابنة الملك حسان ملك بلاد الصين، ويوافق أبوها على زواجها منه، وينتقل بها الأمير محمود إلى بلاد العجم أو الفرس في حراسة جند أبيها ووزيره.

وقد عجبت من الشيخ القباني لكتابته مسرحيته من خمسة فصول أقامها على حدث أقرب ما يكون إلى الخيال وهو عشق أمير فارسي لصورة على ورقة وهيامه بها، وظللت أتذكر أحداث المسرحية لغرابتها.

ومنذ فترة كنت أقلب في صفحات كتاب محمد عودة (ت٢٠٠٦) عن سقوط الملكية في مصر وتوقفت عند فقرات تناول فيها زواج فاروق من فريدة إلى أن قال :« وتجددت الأفراح ببهاء وبذخ أكبر حينما توالت الأحداث السعيدة وأرسل جلالة شاهنشاه إيران رسولا يخطب شقيقة الملك الكبرى فوزية لولي العهد بعد أن رأى صورتها في مجلة

أمريكية » .

وكدت أصحاب بذهول، فقد تحققت نبوءة من نبوءات ألف ليلة، وتحققت نبوءة الشيخ القبانى فى مسرحيته التى عجبت منها، فما أشبه المسرحية المتخيلة بالمسرحية التى حدثت فى الواقع. فالأمير محمود فى المسرحية أحب صورة فتاة على ورقة، وكذلك كان الأمر مع الأمير أو ولى العهد الإيرانى، والأمير محمود والأمير محمد رضا شاه بور كلاهما من بلاد العجم(إيران)، عدا تشابه اسم كل منهما، فأحدهما محمود والثانى محمد، والأمير محمود تنقل فى عدة بلاد وأقام فيها قبل أن يصل إلى زهر الرياض، وشاه بور تنقل بين العراق وسوريا ولبنان قبل أن يلتقى بصاحبة الصورة الأميرة فوزية، وإذا كانت زهر الرياض بنت ملك، فكذلك كانت فوزية، وكلا الأميرين صحب زوجته إلى بلاد العجم أو إيران، وإذا كان الملك حسان أرسل مع ابنته زهر الرياض وهى فى طريقها إلى فارس حراسا ووزيرا، فإن الملك فاروق أرسل مع اخته وهى فى طريقها إلى ايران بعثة شرف رسمية.

فكأن شاه بور والملك فاروق والأميرة فوزية يشتركون جميعا فى إعادة تمثيل مسرحية القبانى على أرض الواقع فى مسرحين كبيرين هما طهران والقاهرة.

●●●●●

بعد اتصالات ومداولات وافقت أسرة الملك فاروق على زواج صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية من صاحب السمو الإمبراطورى محمد رضا شاه بور وتحدد يوم وصوله إلى مصر ويوم عقد القران السعيد، وتحرك شاه بور من طهران ووصل إلى بغداد فى أواخر فبراير١٩٣٩ واستقبلته العاصمة العراقية استقبالا رسميا وظل بها نحو يومين، ثم اتجه إلى سوريا وقوبل بحفاوة بالغة، وتابع رحلته إلى لبنان.

وفى ٢٨من فبراير ١٩٣٩ تحرك اليخت الملكى «المحروسة» وأبحرت الطوافتان «فاروق»و«فوزية» من الاسكندرية واتجهت جميعها إلى بيروت لتقل شاه بور والوفد الإيرانى المرافق له، وفى أول مارس ١٩٣٩ غادرت السفن الثلاث بيروت إلى الإسكندرية وسط إطلاق المدافع وعزف الموسيقات، وفى الثغر السكندرى استقبل ولى العهد الإيرانى استقبالا رسميا وشعبيا وأطلقت المدافع وهتف الجمهور قائلا :«خوش أمدى شاه بور» أى أهلا ومرحبا بولى العهد، ودوّى التصفيق، وتعالت الأنغام الموسيقية، واتجه إلى قصر رأس التين، وعلى جانبى الطريق، ارتفعت الأعلام المصرية والإيرانية.

وبعد يومين استقل القطار الملكى إلى القاهرة ترافقه الطائرات الحربية وفى كل محطة كبيرة من محطات المدن الكبرى استقبلته الحشود ومديرو المديريات والجند، وكان الاستقبال الأكبر فى محطة القاهرة، وكانت قد أخذت زينتها وتناثرت فيها أصص الزهور، وخفقت فيها الأعلام المصرية والإيرانية واصطف فيها العسكر والشرطة، وعندما هبط من القطار أطلقت المدافع ، وكان فى استقباله كبار رجال مصر باستثناء

الملك، وأدت فرقة الشرف التحية العسكرية، وعزفت الموسيقى السلام الإمبراطورى والسلام الملكى، ثم اتجه إلى عابدين حيث كان فى استقباله جلالة الملك الذى تحدث معه بالفرنسية ثم قصد بعد ذلك إلى مقر الضيافه فى سراى القبة.

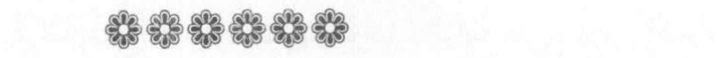
وفى يوم ٣/٣/١٩٣٩ طلعت الجرائد على الجمهور بصورتين كبيرتين منفصلتين للشاه بور والأميرة فوزية، هو فى حلته العسكرية اسمر جامد الوجه تبدو عليه الصرامة وهى باسمة يانعة ينبثق من وجهها النور، ومن حديث الجرائد الموصول والصور عرف القاصى والدانى أن الشاه بور جاء لعقد قرانه على الأميرة فوزية، وفى الرابع من مارس أهداه الملك فاروق قلادة محمد على العظمى كما أهدى أوشحة وناشانات لحاشيته ورجال السفارة الإيرانية، وأقيمت له مأدبة ملكية رسمية فى قصر عابدين، تلاها رقص وموسيقى.

ولما كان يوم عقد وثيقة الزواج يوم الأربعاء ١٥/٣/١٩٣٩ فإنه أمضى الفترة منذ مجيئه إلى يوم القران فى زيارات لأماكن كثيرة، منها البرلمان المصرى ودار الآثار المصرية وضريح محمد على وجامعه، والجامع الأزهر، وزار برفقة الملك دار الأوبرا وأقيمت له حفلة فنية شاركت فيها بديعه مصابنى،.

ثم حل يوم القران وأقيمت الاحتفالات مدة ثلاثة أيام، ونصبت السرادقات، وعمت الأنوار، وامتلأت الشوارع والميادين بالناس، وعادت إلى الميادين الكبرى ألعاب البهلوانيين والتمثيل والاسكتشات، وألعاب

السيرك، وخيال الظل، والغناء، والأرجوز، والحواة ودق الطبل البلدى، والطبل الإسكندرانى، وتلا القراء فى المسجد الحسينى أى الذكر الحكيم وتجمع طلبة المدارس الدينية، والمدارس المدنية وطلبة جامعة فؤاد فى أماكن مختلفة ثم انطلقوا فى هتافات مدوية إلى سراى عابدين للإعراب عن الغبطة والابتهاج.

وعقد القران فى ١٥ / ٣ / ١٩٣٩، وكتبت وثيقه الزواج باللغه العربية، وفى اليوم التالى صدر عن القصر الملكى البلاغ الآتى:



بلاغ ديوان الملك

أذاع ديوان جلالة الملك أمس البلاغ التالى :

أراد الله تعالى جلت قدرته لحكمة شاملة وخير عام ولمجد الدين والدنيا وخير الإسلام أن تحصل المصاهرة الشريفة بين أسرتين جليلتى القدر رفيعتى الذكر أسرة محمد على وأسرة بهلوى، وشاء الله أن يربط بهذه المصاهرة السعيدة العظيمة الخطر، المحمودة الأثر، بين شعبين عظيمين يفاخران بقديمهما وحديثهما فى خدمة الحضارة الإنسانية وفى رفع لواء المدنية وفى نشر الآداب وخدمة السنه والكتاب وهما الشعب المصرى الكريم والشعب الإيرانى المجيد لذلك أذن الله أن يتم اليوم عقد زواج حضرة صاحب السمو الإمبراطوري شاهبور محمد بهلوى ولى عهد إيران بحضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية. ففى المجلس السامى المنعقد بقصر عابدين العامر فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء المبارك الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة١٣٥٨ هجرية الموافق لليوم الرابع والعشرين من شهر اسفند سنة ١٣١٧ الهجرية الشمسية الإيرانية واليوم الخامس عشر من شهر مارس سنه ١٩٣٩ ميلادية تولى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الاول ملك مصر بالوكالة عن شقيقته حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية إجراء عقد زواج سموها الملكى من حضرة صاحب السمو الإمبراطورى شاهبور محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران وقد تولى سموه الإمبراطورى العقد بنفسه وجرى العقد بإيجاب وقبول شرعيين مستوفيا شرائطه الشرعية

على كتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بشهادة شاهدى التوكيل وهما حضرة صاحب المعالى سعيد ذو الفقار باشا كبير أمناء جلالة الملك وحضرة صاحب السعادة مراد محسن باشا ناظر خاصة جلالة الملك وبشهادة سعادة أحمد متين دفترى وزير العدل بإيران وسعادة الدكتور مؤدب نفسى رئيس ديوان حضرة صاحب السمو الامبراطورى ولى عهد إيران وتولى سماع صيغة العقد الشرعى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر نيابة عن مجلس بلاط الملك بناء على قراره الصادر فى ٦ المحرم سنة ١٣٥٨ (٢٥فبرايرسنة١٩٣٩) وكان فى مقدمة الحاضرين حفلة هذا القران السعيد حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على ولى عهد المملكة المصرية وحضرات أصحاب السمو والمجد امراء ونبلاء الأسرة المالكة الجليلة وحضرات أصحاب المقام الرفيع والسعادة خالى العروس ووالد حضرة صاحبة الجلالة الملكة المعظمة وبعض ذوى القربى من الأسرة العلوية الكريمة وسعادة حسن استندبارى رئيس البرلمان الإيرانى وسعادة على أكبر بهمن السفير المفوض لحضرة صاحب الجلالة الإمبراطورية الشاهنشاه بمصر وغيرهم من حضرات أعضاء حاشية صاحب السمو الإمبراطورى وكبار رجال السفارة الايرانية بمصر وحضرات أصحاب المقام الرفيع والدولة والمعالى والسعادة والفضيلة رئيس مجلس الوزراء واصحاب قلادة فؤاد الأول ورئيسى مجلس الشيوخ والنواب ورؤساء الوزارة السابقين والوزراء الحاليين ورئيس محكمة النقض والإبرام ورئيس لجنة قضايا الحكومة ورئيس محكمة الاستئناف الأهلية بالقاهرة ورئيس

المحكمة العليا الشرعية ومفتى الديار المصرية ونقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية وحضرات كبار رجال القصر الملكى » .

وأطلقت المدافع وحلقت الطائرات وبارك الحاضرون الملك والعروسين، ووزعت علب الملبس المغطاه بغطاء مزين بالتاج ومرصع بالماس تحته الحرفان الأولان من اسمى العروسينM.F متعانقين، ولما كان ميدان عابدين ممتلئا بالجماهير أطل عليهم فاروق وشاه بور، كما أطلت صاحبه السمو الإمبراطورى الأميرة فوزية ولوحت بيدها ترد على تحية الجماهير، وكانت سافرة الوجة طليقة الشعر.

ثم انطلق موكب الزهور من الجزيرة إلى عابدين، واشتعلت الأضواء فى المساء وزادت الزينة بأنوار اللمبات النيون الجديدة، وأحاطت بالأزهر أضواء النيون من كل ناحية، وامتدت الأفراح إلى الضواحى والأقاليم والمدن الكبرى مثل: الاسكندرية.

واستعرض الملك فى هذه المناسبة الجيش بحضور صاحبتى الجلالة (نازلى وفريدة) وحضور الشاهبور، وأقيمت سرادقات واسعة للمدعوين، وتم العرض فى نهاية شارع فؤاد الأول بمصر الجديدة وحلقت ٤٨ طائرة فى سماء العرض.

وتكرر ما حدث فى أفراح زواج فاروق من إطعام الفقراء على مدى ثلاثة أيام فى مطاعم الشعب، وأدبت المآدب فى بعض الأقاليم.

وقدمت بعض الهدايا للأميرة فوزية من دوقة فاندوم عمة ملك بلجيكا، ومن ملكة انجلترا، وكانت هديتها عبارة عن طاقم فضى للمائدة يرجع إلى عهد جورج الثالث، وأرسل المستشار الألمانى هتلر برقية تهنئة إلى الملك فاروق.

وكان [illegible] شأنه فى هذه الاحتفالات فقد أقيمت سرادقات فى حديقة الازبكية غنى فيها صالح عبد الحى وفاطمة سرى، وفتحية أحمد وعبده السروجى، ونادرة أمين وعزيز عثمان مع منولوجات من محمد كامل وفتحية شريف وعبد الحميد زكى.

وكان كامل الشناوى(١٩٠٨-١٩٦٥) قد نظم قطعه غنائية من نوع الموال أطلق عليها «أنشودة الفرح» لتغنى فى حفلات الابتهاج بالقران السعيد جاء فيها:

الله يخلى أميرة مصر لأميرها.

وتعيش تمللى رضا الفاروق يسايرها.

فاروقنا اللى فلك الشمس دايرها.

والأنشودة كلها دعاء للملك وأختة والشاه بور، وغنت فاطمه سرى «نشيد التاجين» من نظم فايد العمروسى وجاء فيه:

ملكان فى الشرق العميد ... ايران والنيل الخصيب

عرش الفراعنة المجيد ... عرش الأكاسرة الأسود

جمعا على عهد سعيد ... فتطلعت عين الوجود

وتتسلل إلى النشيد الكلمات الدالة على مصر وإيران وعلى ماضيهما المجيد وحاضرهما السعيد، وشدت نادرة أمين «بنشيد القران المصرى الإيرانى» من تلحين القصبجى ونظم محمود محمد سلامة ومنه.

شبل كسرى بابنة النيل بنى ... فبنى للشرق أركان المنى

والتقى التاجان فى ظل الهنا ... يبعثان النور نبلا وسنا

يا ابنة النيل هنيئا بالقران ... أشرقى فى الوطن الثانى إران

أنت رمز الخير عنوان الأمانى   فاسعدى فوزية طول الزمان

والكلام المناسب فى أشعار الأفراح مستحب لأنه خفيف الروح، محرك للنفس، مفهوم اللفظ، مباشر المعنى ويزيد فى جماله حين يؤدى بصوت يخلب، ولحن مطرب، وقد ماتت هذه الأغنيات التى أشرنا إليها كما ماتت أغنيات كثيرة من قبلها ومن جنسها لأنها أغنيات خاصة بالملوك وتتضمن أسماءهم وماضيهم وأمجادهم، بل إن الأغنيات التى تغنى فى فرح أحد أفرادهم لاتصلح للغناء فى فرح أخيه وذلك بسبب ذكر الأسماء والصفات والطبائع، وعلى سبيل المثال ما غُنى للملكة فريدة لا يصلح أن يغنى للأميرة فوزية.

أما الأغانى التى تُغنى فى أفراح العامة فإنها تعيش فترة طويلة، وتصلح أن تغنى فى مختلف الأفراح لأنها لا تتضمن معارف وصفات خاصة، وتعنى بمعان أو امور انسانيه عامة كالجمال، وتحقيق الآمال، واستمرار الوصال، وتحقيق السعادة وما إلى ذلك.

●●●●●●

وقد كانت هذه المصاهرة أكبر دعاية لإيران فى مصر أُنفق عليها من أموال المصريين فقد تناول الكّتاب والصحف المصرية إيران من الناحية التاريخية إذ أصدرت مجلة« الثقافة » التى كان يتولى تحريرها أحمد أمين عدداً خاصاً عن إيران كتب فيه طه حسين وتوفيق الحكيم وعبد الوهاب عزام وفريد أبو حديد وشفيق غربال ومحمد عوض محمد . وتناولوا تاريخ الفرس وآدابهم، وتناثرت مقالات كثيرة عن إيران فى صحف تلك الفترة، وأثير فيها غزو قمبيز الفارسى لمصر واحتلاله لها، وما أصلحه« دارا » من معابد ومواصلات بحرية أثناء إقامته بمصر، وعندما زار شاهبور جامعة فؤاد ألقي أمامه عبد الوهاب عزام محاضرة عن اللغة الفارسية، وكان بليغا فيها ونشر منصور جاب الله مقالة تناول فيها الأساطير الفارسية، والزرادشتية وألف الدكتور مرزا فضل الله كتابا يعلم اللغة الفارسية للعرب، كما كُتبت عن ايران مقالات. تتناول تاريخها القديم وقصة الصراع الطويل بين فارس واليونان، أما من الناحية الأدبية فقد استفاض الكتّاب المصريون فى الحديث عن شعراء الفرس العظام من أمثال « رودكى » « والفردوس »صاحب شاه نامه التى يصل عدد أبياتها إلى ستين الف بيت وتضم تاريخ فارس القديم و« فريد الدين العطار »و« جلال الدين الرومى »و« الشيرازى » صاحب كلستان،« وبديع الزمانى الهمذانى » كاتب المقامات،و « الفيروز أبادى » صاحب القاموس المحيط، و« عمر الخيام » الذى اشتهر بالرباعيات .

فـإذا تـطرقنا إلى النواحى الفنيـة نجـد أن الإذاعـة المصـرية قـد أذاعت طرائف من الموسيقى الإيرانية، وقدمت فرقة الأوبرا أمام الملك والشاهبور رقصات إيرانية وعزف سامى الشوا قطعة موسيقية تدعى « تمهيد إيرانى » وليس هذا فحسب وإنما السجاد الإيرانى نال من الدعاية قدرا فقد كثر الإعلان عنه ليروج، وبإيجاز شاركتنا إيران بأعلامها ووفدها وولى عهدها وموسيقاها وتاريخها وآدابها حياتنا أثناء وجود الشاهبور فى مصر.

وقبل أن نختم مظاهر الاحتفالات نشير إلى أن إدارة لوتس فيلم صورت فيلما عن حفلات استقبال الأمير الإيرانى فى بيروت ورحلته على اليخت الملكى المحـروسـة إلى الإسكندرية والاسـتـقـبـالات على طول الطريق من الإسكندرية إلى القاهرة، واستقباله فى القاهرة، وعرض هذا الفيلم على شاشة سينما الكوزمو.

وبعد انتهاء حفلات عقد القران تنقل الشاهبور فى عدة أماكن، ثم بدأت الاستعدادات للسفر، فسافرت من السويس بعثة الشرف المصرية المكونة من ثلثمائة جندى وضابط لتكون فى استقبال العروس وأسرتها، وفى الثالث من أبريل استقل الشاهبور القطار من محطة القاهرة بعد توديعه ومعه العروس وأمها وشقيقاتها الثلاث، ووصلوا بورسعيد وسط

احتفالات وهتافات وركبوا الباخرة « محمد على » يحرسها الطراد الانجليزى « نورفلك » .

●●●●●●

كان الشاه بهلوى، والد محمد رضا شاهبور، جنديا بسيطا فى الجيش الإيرانى، وتمكن من قيادة انقلاب عسكرى ضد نظام الحكم بمساعدة انجلترا، وانتهى الأمر بتوليه السلطه فى إيران، وتلقيب نفسه بالشاه بهلوى، وهكذا انتقل فى فترة وجيزة من جندى بسيط خامل إلى امبراطور لذلك كان يقال عنه إنه « محدث نعمة » . وكانت بلاده تسمى منذ القدم« فارس » كما كانت تسمى« الدوله الساسانية » وفى العصور الإسلامية سميت بأسماء مختلفه منها « الدولة البويهية »و« الدولة الصفوية » ولكنها بالرغم من ذلك ظلت تعرف بأنها بلاد الفرس أو فارس . وعندما تقلد بهلوى السلطة أصدر قرارا فى ٢١ من مارس ١٩٣٥ بتسمية بلاد الفرس « إيران » .

ولم يلبث الإمبراطور بهلوى أو الشاه كثيرا فى السلطة، فقد أطاح به من جاؤوا به أى الانجليز وأجبروه على التنازل عن العرش لابنه محمد رضا الذى صار امبراطورا منذ عام ١٩٤١ وصارت الأميرة فوزية امبراطورة .

عاشت الامبراطورة فوزية فى البلاط الامبراطورى دون أن يكون لها سند أو معين، ولم تقو على دسائس القصور، ولا بد أنها لاقت عنتا،

واعتلت صحتها، ودبر الملك فاروق طريقة لعودتها إلى القاهرة، وعادت مخلفة وراءها ابنتها التى أنجبتها من الشاه، ولم يقدم أحد سببا واضحا مقنعا لنفورها من البلاط الامبراطورى وفى عام ١٩٤٨ تم طلاقها من الشاه.

وبالرغم من التعتيم الإعلامى الذى فرضه فاروق على أخته، فإن الشعب المصرى النجيب عرف أنها انجبت بنتا، وقد دخلت ابنة الأميرة فوزية فى الفلكور الشعبى. فى أربعينيات القرن العشرين.

وكانت النسوة تغنين فى الأفراح أغنية تذكرن فيها بنت الأميرة فوزية التى ضربها ابن فلاح، تقول كلمات الأغنية.

لُمّا على لُمّا على لّميه
حبيت جدع اسمر طلعله مهيه
وليه بتضربنى وأنا اسمى سكينه
وتسمع الجيران ضرب السكينه
يا رايحيين الغيط قولو لحمايه
ابنك ضرب بنت الأميره فوزية
وليه بتضربنى وأنا بتغدى
وتسمع الجيران ضرب المخده
يا رايحيين الغيظ قولو لحمايه
ابنك ضرب بنت الأميره فوزيه

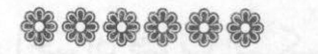
وليه بتضربنى وأنـــــا بتعشى

يا رايحيين الغيظ...........

....

وهذه الأغنية الشعبية لم أطالعها فى كتاب أو صحيفة وإنما أملاها صديق نقلا عن والدته.

وقد تزوجت الأميرة فوزية من إسماعيل شيرين آخر وزير حربية قبل خلع فاروق. أما محمد رضا بهلوى فقد تزوج من إيرانيه هى فرح ديبا وكانت تلقب بـ «الشهبانو» وفيما بعد زار الشاه مصر فى عهد الرئيس السادات، ثم أطاحت به الثورة الإسلامية التى قادها من المنفى الإمام الخمينى، ومات فى ٢٧ / ٧ / ١٩٨٠ ودفن بالقاهرة.



الملك فاروق والملكة ناريمان
وآخر افراح اسرة محمد على باشا

عاش الملك فاروق عزبا منذ طلاق الملكة فريدة عام ١٩٤٨ حتى زواجة من الملكة ناريمان، وقال العارفون إنه كان بينهما نفور وتدابر قبل الطلاق الشرعى بسنوات وقد أسهب كثيرون بعد رحيل الملك، فى كلام مفاده أنه كان زير نساء، ولتأكيد ذلك ترددت أقوال، لا تعرف مصدرها وتفيد أن خروفا كان يعصر له ويصفى فى كوب يشربه ليكون فحلا قويا، وقيل من هذا الكلام كثير، وعلى الجانب الآخر أثبتت أكثر من دراسة أن هذا من الأوهام، ففى كتابها الجيد« فاروق ظالما ومظلوماً » عقدت سهير حلمى فصلا عنوانه « نساء فاروق ضجيج بلا طحن » أى أقوال بلا أفعال، وتذكر أن حسين سرى باشا رئيس الوزراء أكد للسفير الانجليزى« أن الملك يعانى من خمول فى بعض غدده الأمر الذى يترتب عليه معاناته من بعض مشاكل الضعف الجنسى » ويقول وزير الداخلية والحربية فى العهد الملكى مرتضى المراغى فى مذكراته أن ابتعاد فاروق عن النساء لم يكن نتيجة عفة وإنما نتيجة ضعف.

ومهما يكن من صدق هذا الكلام أو كذبه، فقد عاش فاروق عدة سنين عزبا إلى أن دله أحمد نجيب الجواهرجى على فتاة ارتأى أنها جميلة، ولما طلب الملك أن يراها أولا، اصطنعت الحيل لكى يشهدها، فلما نظرها راقت لعينيه، وقيل إنها كانت مخطوبة لزكى هاشم وأن « فاروق » تدخل بثقله لفض الخطوبة، ويقول هو أى فاروق : إن زكى هاشم كان

يتردد على منزلها ولم تكن قد خطبت بعد أما ناريمان فإنها كانت تحب القصور الملكية.

والذين يدافعون عن ناريمان وزكى هاشم بحرارة فى هذه القضية فاتهم أن المرأة تحب الشباب والثراء والقوة وهذه تتمثل فى فاروق، وعندما زالت القوة، وتضاءلت الثروة وضاعت القصور طلبت الطلاق وطلقت، ثم إنه من هذه التى خطبها ملك وشاب وسيم وثرى ورفضته؟

وافقت اسرة حسين فهمى صادق المهندس بمصلحة الموانى والمطارات على زواج ابنتهم التلميذة من الملك، ومات أبوها قبل خطبتها، وأُرسلت مع عمها، قائد اسراب طائرات فى الجيش، إلى إيطاليا لتتعلم أصول البروتوكول وعادت بعد شهور لتستعد للزواج، اختار الملك يوم ٦/٥/١٩٥١ ليكون يوم عرسه لأنه يوافق مرور خمسة عشر عاما على توليته العرش فى ٦/٥/١٩٣٦، فكأنه يحتفل بعيدين، ودار الحديث فى الصحف حول العيدين، ولم يقتصر كلام الجرائد والمجلات على الزفاف، وإنما سردت الانجازات فى الخمسة عشر عاما التى أمضاها فى الحكم، كما يحدث اليوم ويقال إنه فى عهد الرئيس فلان أُنجز كذا وكذا.... وأشارت الصحف إلى الجامعات الجديدة التى أنشئت وهى« جامعة فاروق الأول » فى الإسكندرية، وجامعه « محمد على » فى أسيوط، وجامعه « إبراهيم »بشبرا عدا الجامعه الشعبية، كذلك أشارت إلى مجانية التعليم، وإلى إنشاء المجمع العلمى المصرى، والمتحف الحربى بجوار القلعه والمتحف بالاسكندرية ومتحف الفن الحديث، ومعهد الموسيقى بالإسكندرية، والفرقة القومية، ومعهد التمثيل الراقى، وسردت

الصحف أسماء المدن الجديدة مثل مدينة إمبابة، ومدينة العمال فى المحلة الكبرى، ومؤسسة فاروق بكفر صقر، وإنشاء مصلحة السياحة.......، ومثل هذا الكلام لا يخص الزفاف وإنما يذكر فى المناسبات القومية ونعود إلى موضوعنا، فقد أزف يوم الزفاف، وعطلت حكومة النحاس باشا الشركات والبنوك يوم القران، وتم تسيير قطارات إضافية لتنقل الناس من الأقاليم إلي العاصمة للمشاركة في حفلات الابتهاج بالقران، واستقبلت القاهرة فى الأيام السابقة على يوم الزفاف مئات الألوف من الافراد كما تقول الصحف، وتكوّن من هؤلاء ومن سكان القاهرة مهرجان شعبى كبير، هذا بخلاف السيارات التى زحفت من مختلف الأماكن وقدّر عددها بأكثر من عشر ألاف عربة، ومع أن مدة الاحتفالات ثلاثة أيام، فإن الاحتفالات بدأت قبل ذلك بايام، ففى الرابع من مايو أقامت كلية البوليس (الشرطة) حفلة ساهرة كبرى للابتهاج بالعيدين حضرها أكابر مصر.
وكانت الزينات قد عمت الميادين وانتشرت فى الشوارع وأركان القاهرة، وأقيمت أقواس النصر فى طريق موكب الملكة من مصر الجديدة إلى قصر عابدين،وأضيئت البيوت والعمائر والمصالح الحكومية بالأنوار الملونة، وصارت القاهرة شعلة من النور.

وفى صباح يوم الزفاف انطلقت طوابير الشرطة من الفرسان والسوارى وراكبى الموتوسيكلات وفرق الموسيقى من ميدان الأزبكية إلى ميدان الأوبرا إلى عابدين واصطفوا وهتفوا بحياة الملك ثم عادوا مرة أخرى إلى الأزبكية.

وفى ضحى يوم ٦ / ٥ / ١٩٥١ عقد القران الملكى فى قصر القبة، قصر الأفراح وفى اليوم التالى صدر عن الديوان الملكى البلاغ التالى:

بلاغ من ديوان جلالة الملك القران الملكى السعيد

الحمد لله حمد الشاكرين ففى هذا اليوم المبارك تتجه مصر بقلوبها وترنو بأبصارها نحو الفاروق العظيم تذكر لله أنعمه ظاهرة وباطنة،وترقب بشرى زواجه السعيد من سليلة بيت الشرف وربيبة دوحة المجد حضرة صاحبة الجلالة الملكة ناريمان ، . وفى المجلس السامى المنعقد بقصر القبة العامر فى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأحد ٣٠ من رجب ١٣٧٠هـ - ٦من مايو سنة ١٩٥١- تولى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بنفسه الكريمة عقد زواجة على صاحبة الجلالة الملكة ناريمان التى ناب عن جلالتها وكيلا عنها عمها صاحب العزة محمد على صادق بك المندوب فوق العادة والوزير المفوض لمصر فى هولاندة وكان شاهدا العقد حضرة صاحب المعالى عبد اللطيف طلعت باشا كبير أمناء جلالة الملك وحضرة صاحب السعادة محمد حسن يوسف باشا رئيس ديوان جلالة الملك بالنيابة وتولى صيغة العقد الشرعى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم سالم بك رئيس المحكمة العليا الشرعية. وقد كان فى مقدمة الحاضرين حفل عقد القران الملكى السعيد حضرة صاحب السمو الملكى الأمير محمد على ولى العهد وحضرات أصحاب السمو والمجد أمراء ونبلاء الاسرة المالكة الجليلة وبعض ذوى القربى من أعضاء الأسرة العلوية الكريمة وأصهارها وحضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء وحضرتا صاحبى السعادة رئيسى مجلسى الشيوخ والنواب وحضرات محمد على ولى

العهد وحضرات أصحاب المعالى الوزراء، وحضرات كبار رجال القصر الملكى ».

واطلق مائة مدفع ومدفع إيذانا بإتمام العقد، وتوالت التباريك والتهانى على الملك، وفى الساعات التى كانت تعقد فيها وثيقه الزواج، كانت الملكة تستعد للخروج فى موكبها مرتدية فستانها الأسطورى الذى شغل مساحة من الصحف وقالت عنه: صنع من الستان الأليلى الذى يرسل إشعاعاً أقرب ما يكون إلى إشعاع الصدف، ومرصع فى نظام بديع التنسيق بعشرة آلاف فص صغير من الماس، وحيك بأسلاك من الفضة. وهو مكوّن من قطعتين، القطعة العليا تمت صياغتها من البرودريه المطعم بالماس على شكل زهرة اللوتس، والقطعة السفلى أو الجونله لها ذيل طوله أربعة أمتار ودائرته ١٨ مترا. وقد اشترك فى صنع هذا الفستان صانعة الأزياء الفرنسية الشهيرة مدام جيرمان ليكونت ومعها عشرون حائكة، واستهلك ثلاثين مترا من الستان الأبيض، وكانت جيرمان ومساعداتها يقضين معظم الوقت فى قصر الملكة التى كانت تشرف بنفسها على الفستان، واستغرق صنعه خمسة عشر يوما. وكان مع الفستان طرحة صنعت ببرودريه من دانتيل فينسيا العريق ويعلوها التاج الملكى المرصع بالماس.

وفى الساعة الخامسة مساء تحرك موكب الملكة من قصرها بمصر الجديدة وسط زغاريد الجيران، وأذان المؤذنين، وتصفيق الناس، ونحر الذبائح، وإطلاق المدافع، وتحليق الطائرات. واصطف مائة طالب من طلبة الكلية الحربية بموسيقاهم لأداء التحية لها، وكان بصحبتها الأميرة فوزية

والسلطانة ملك، واصطف على طول الطريق آلاف الجنود من الشرطة والجيش بملابس التشريفة، وكان يحف بعربتها ستة من راكبى الموتوسكلات، وتتبع عربتها عربات عديدة منها عربة الحكمدار وعربة تحمل الوصيفات وسيارات جيب، ولم تسدل الملكة نقابها على وجهها، واستولى عليها الفرح والطرب، وأخذت تلوح بيدها للجماهير، وترفعها لتحيتهم، وسار الموكب من شارع المطار إلى شارع منشية البكرى. إلى شارع العباسية فميدان المحطة ومنه إلى سراى عابدين. وعند نزولها أدت فصيلة من فرسان الحرس الملكى التحية لها وعزفت الموسيقى السلام الوطنى(كان من قبل السلام الملكى) ودخلت القصر الذى كانت تتوق إليه فوجدت الملك فى انتظارها، وصحبها إلى صالة الاحتفالات، وكان قد وصل أمراء وأميرات أسرة محمد على وكبار القوم والسيدة زينب الوكيل زوج النحاس باشا والسيدة أصيلة والدة الملكة، وفى المساء أقيمت حفلة ساهرة كبرى فى القصر اشتركت فيها فرقة باليه أسبانى راقصة جاءت خصيصا من فرنسا.

وأقامت مصلحة التنظيم حفلة أحيتها أم كلثوم بخلاف حفلة أقامتها نقابة الصحفيين اشتركت فيها فرقه على فراج الموسيقية، وأقام محافظ العاصمة حفلة غنت فيها أم كلثوم ورقصت فيها تحية كاريوكا، وفى الإسكندرية أقيم مهرجان رياضى عسكرى وشارك الجيش بعرض عسكرى تحرك من كوم الدكة إلى قصر رأس التين تحت إشراف محافظ المدينة.

●●●●●

وقدمت إلى الملك هدايا لم تكن فى حجم ونفاسة الهدايا التى قدمت له عند زواجه من الملكة فريدة، ومع ذلك لم تكن قليلة أو غير ثمينة، وهناك من قدم هدايا فى المرة السابقه وامتنع فى هذه المرة، وهناك من جدد الإهداء، وهنالك من استجد وبادر بتقديم الهدية والتحية وفيما يلى ذكر أهم ما أهدى إلى الملك والملكة:

كانت هدية الملك عبد الله ملك الأردن قلادة مرصعة، وهديتة للملكة تتكون من اثنتى عشرة قطعة للتواليت من الذهب المحلى بالماس والأحجار الكريمة، واثنين من الشمعدانات من الذهب الخالص. وأهدى امبراطور أثيوبيا زهرية كبيرة من الذهب الخالص مكتوب عليها بالماس «إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق من جلالة الامبراطور هيلاسلاسى» وأهدى ابنه نموذجا من الذهب الخالص لسلة الخبز الحبشية وقد كتب عليها «هدية إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق من ولى عهد أثيوبيا». وقدمت الجالية الإيطالية سيارة فخمة من صنع مصانع الفارميو، وأهدى هاشم الأتاسى رئيس جمهورية سوريا زهرية (فاز) كبيرة نادرة يزيد ارتفاعها على متر، وأهدت انجلترا طقما للشاى والقهوة من الذهب الخالص، وقدم البارون امبان (الذى أنشأ مصر الجديدة) بارومتر لقياس ضغط الهواء وهوجهاز نادر وأثرى، وأهدى الرئيس الأمريكى ترومان آنيه للزهر من البلور النادر، وكانت هدية شيخ الأزهر تتكون من مصحف أثرى، وقد وضع فى علبة أنيقة من الفضة الخالصة نقش فوق غطائها التاج المصرى بالذهب الخالص.

وكانت هدية رجال القضاء الشرعى عبارة عن طاقم أثرى لشراب الشاى

مكوّن من سبع قطع فضية محلاة بالذهب والأحجار الكريمة، وأهدى النحاس باشا طاقما من الذهب الخالص، وكانت هدية الانبايوساب بطريرك الأقباط الأرثوذكس عبارة عن صينية للقهوة وفناجين وتنكه عليها نقوش وكلها من الذهب الخالص، وأهدى حاخام اليهود طبقا كبيرا وإناءين للزهور جميعها من الذهب الخالص، وهناك هدايا أخرى.

وكانت بعض المصالح والوزارات قد جمعت نقوداً من الموظفين لشراء هدية ثمينة وتقديمها للملك، ولكن الملك رفض ذلك، وتقول صحيفة « صوت الأمه » : « أرسل حسن يوسف رئيس الديوان الملكى رسالة إلى النحاس باشا يخبره فيها برفض الملك جمع أموال من الموظفين لتقديم هدايا بمناسبة القران ورجاه أن ينبه إلى وقف هذا فى جميع الوزارات ورد المبالغ التى جمعت إلى أصحابها ».

●●●●●

وفى هذين العيدين أنعم الملك برتبة الباشوية على عم جلالة الملكة، كما أنعم بالرتب والنياشين على بعض ذوى الحيثيات، ورقى بعض الضباط وأنعم على عدد من الصحفيين برتبة البيكوية مثل أحمد الصاوى محمد، وكامل الشناوى، وقاسم جودة، وعين أعضاء جددا بمجلس الشيوخ من بينهم فؤاد صادق زوج أخته فائقة.

وقد أطعم الفقراء، ووزعت عليهم الملابس والأموال باكثر مما كان فى المرتين السابقتين، فنصبت السرادقات فى أماكن كثيرة من العاصمة لتوزيع الأطعمة والأغذية طوال أيام الاحتفالات، وكانت الحلوى والفاكهه تعطى للمرضى فى المستشفيات، وتبرع الملك بخمسمائة جنيه لجمعية الاسعاف، كما تبرع بمبلغ من المال لملجأ الأيتام الأقباط.... وتسابقت الجمعيات الخيرية وبعض الهيئات فى أعمال الخير بالقاهرة وبعض عواصم الأقاليم.

وهذا البر جميل من الملك، ومن كل الذين تبرعوا بشىء للفقراء، ولكن هذا لم يكن علاجا لمشكلة الفقر فى البلاد، فالأفراح ليست فى كل يوم، كما أن الفقراء فى الدولة من الكثرة بحيث لاتستطيع التبرعات والسرادقات قضاء حوائجهم وملء بطونهم، وكان على الملك وحكوماته أن تفكر فى طريقه تقرب المسافات الواسعة بين الأغنياء والفقراء، أو تعمل على تضييق الهوات بين الطبقات، وترمم الصدع الكبير فى البناء الجتماعى قبل أن يتهاوى وينهار.

وكان الملك يوجه رسالة إلى الشعب فى نهاية الاحتفالات، فعل هذا بعد

حفلات الابتهاج بزواجة السابق، وفى هذا الزواج وجه كلمة إلى الأمة قال فيها :« أبناء الوطن العزيز..... أحببت، وقد تمت بفضل الله وتمام نعمته حفلات عيد جلوسى.... وعيد زواجى أن أهدى إليكم جميعا خالص شكرى وعظيم اغتباطى، وأن أتقبل بوافر الحمد والتقدير ما أعربتم عنه من أصدق العواطف وأنبل الشعور....... »

●●●●●

وانتقلت ناريمان من قصر عابدين إلى قصر القبة، وأنجبت ولداً فى ١٦ من يناير ١٩٥٢ ، وكان فاروق حسن الظن بالأيام عندما سمّى ابنه «أحمد فؤاد الثانى» وعندما جعله وليا للعهد، ولكنه كغيره من البشر لا يعلم ما تخفيه الأقدار ، فقد تتابعت الأحداث سريعة، وكان آخرها تحرك الجيش ليلة ٢٣ من يوليه ١٩٥٢ وحسم الصراع بين الملك والضباط الأحرار، وفى ٢٦ من يوليه ١٩٥٢ تنازل عن العرش لابنه، ورحل إلى إيطاليا تصحبه ناريمان وابنها، ويبدو أن ناريمان كانت مخدوعة وتعتقد أن ابنها سيحكم مصر عندما يكبر، فلما أُعلنت الجمهورية فى ١٨/٦/١٩٥٣ أفاقت من حلمها، ولم يعد هناك ما يجعلها تحتمل الصعاب وتعانى من الاغتراب، فلا ابنها ملك، ولا زوجها ملك ، ولا هى ملكة، ولا هناك قصور يُضحى فى سبيلها، وأصبحت الحياة مع زوجها بالنسبة لها لاغرابة فيها ولا جديدا، ورأت أن العوْدة إلى مصر أحمد من حياة عاطلة من الفرح والطرب، فطلبت الطلاق عام ١٩٥٣ وطلقت فى مطالع ١٩٥٤ ، وتركت ابنها لأبيه، وتزوجت، وعاشت حياتها إلى أن توفيت عام ٢٠٠٥ ، وكان الملك فاروق قد سبقها إلى الدار الآخرة عام ١٩٦٥ .

واحتفالات زفاف الملك فاروق من ناريمان هى آخر أفراح حكام مصر من أسرة محمد على باشا، وإذا كان من حقهم القول إن أفراحهم كانت أفراحا للشعب، فإنه من حقنا القول إن نفقات الاحتفالات كانت من جيوب وجهود المصريين انتزعت منهم قهرا وقسرا، وعاد إليهم جزء بسيط منها فى صورة من صور الإحسان والصدقة.

❁❁❁❁❁❁

أفراح أنجال الرؤساء في العهد الجمهورى

كانت أفراح أولاد سلاطين الدولة العثمانية هى مرجع احتفالات وأفراح محمد على باشا، فهى القاعدة التى استند إليها محمد على فى إقامة أفراح فاخرة لأبنائه، وجرى أولاده وأحفاده على طريقته حيث البذخ والترف والذهب واشتراك الجيش.

أما احتفالات حكام مصر فى العهد الجمهورى فكان مرجعها تقاليد الأفراح المصرية المعمول بها فى الريف والحضر، وبالطبع لابد أن يكون لتطور الحياة وما استجد فيها أثره فى الأفراح المصرية عند الخاصة أعنى الحكام والعامة. كما لابد أن نأخذ فى الاعتبار التفاوت الطبقى والحضارى، والمستوى الاجتماعى، فأفراح الأغنياء ليست هى أفراح الفقراء.

وهناك ملاحظة أخرى وهى أن أفراح أسرة محمد على يمكنك أن تعرف عنها الكثير، وتحيط بمعالمها، وبمقدار ما أنفق فيها، لأن الصحف كانت تتابعها وتصفها وتصورها، وحتى فى العهد الذى لم تكن فيه صحافة، كان فيه أجانب يتسللون إلى القصور، أو يشهدون الاحتفالات فى الشوارع والميادين، ويكتبون عنها، ومن هؤلاء ما دونته صوفيا بول عن أفراح زينب هانم بنت محمد على، وما سجله دى ماليت عن ختان إبراهيم باشا نجل اسماعيل، ولادون دى ليون الذى شهد أفراح الأنجال ووصفها.

أما أفراح مصر فى العهد الجمهورى فكانت فى الغالب داخل بيوتهم ولم يشهدها إلا من رغبوا هم فى من يشاهدها، أى أن الشعب والطبقات الوسطى وفوق الوسطى لم تعرف ماذا جرى فيها، كما أن ما أذيع عنها كان قليلا ونادرا، ولا يستطيع الباحث والحالة هذه أن يتجاوز ما كتب فى الصحف، لأنه ليست هناك مصادر أخرى.

وقد زوّج الرئيس جمال عبد الناصر ابنتيه هدى ومنى ،. وبالنسبة لهدى، فقد كان مسرح عرسها حديقه بيت الرئيس بمنشية البكرى وشهد الرئيس الغينى أحمد سيكوتورى حفل زفافها إلى حاتم صادق ليلة ٥/٨/١٩٦٥، وكان الرئيس الغينى قد انتهت زيارته لمصر، ولكنه أجل السفر حتى يحضر هذه الليلة وحسب حديث الصحف لم يحضر هذا الحفل كثيرون، واقتصر على أفراد الأسرتين ومعارفهم علاوة على بعض المقربين من الرئيس عبد الناصر، وقد خيمت على هذا الفرح أجواء حرب اليمن التى كانت دائرة آنذاك، فقد انضم إلى المحتفلين مجموعة من ضباط الصاعقة الذين شاركو فى هذه الحرب وعادوا منها.

وكان رئيس بورما قد أهدى إلى عبد الناصر كمية من الأخشاب، وهى التى صنع منها أثاث العروس، أما عن ثوب الفرح فكان عبارة عن ثوب من الدانتيلا البيضاء فوقه طرحة مهداة من زوج الرئيس اللبنانى شارل الحلو.

وقد أمضى العروسان عدة أيام فى فندق سيدى عبد الرحمن، وكان الوقت صيفا، عادا بعدها إلى الاسكندرية وأقاما فى عمارة القوات المسلحة بحى جليم، وكان العروسان يتجولان هنا وهناك حتى يتم صنع

الأثاث.

وما أن انتهى صنع الأثاث حتى نُقل إلى شقة مكونة من خمس حجرات، على حد قول صحف ذلك الوقت، وقد التقطت عدة صور نشر بعضها ومنها صورة ظهرت فيها العروس باسمة بين عريسها وأمها، وأمامهم الرئيس عبد الناصر وبعض الضيوف.

وفى ليله ١٩٦٦/٧/٧ زفت منى عبد الناصر إلى أشرف مهنا، وحضرت الزفاف أفراد من أسرتى العروسين والمشير عبد الحكيم عامر، ومحمد أنور السادات وقرينته وليست هناك معلومات كافية عن هذا الزواج وخلفياته.

ويتضح من توقيت الزفاف فى شهرى يوليه وأغسطس أن الرئيس عبد الناصر (١٩١٨-١٩٧٠) كان يحرص على أن تكون الخطبة والزفاف فى شهور الصيف ليتفرغ أولاده إلى دروسهم فى الشتاء.

وإذا كانت هدى عبد الناصر تزوجت فى أجواء حرب اليمن التى أصابت مصر بكابوس مزعج لكثرة تكاليفها وغزارة دمائها، فإن بنت الرئيس أنور السادات لبنى زُفت إلى المهندس عبد الخالق ثروت عبد الغفار فى ٢٤ من يناير ١٩٧٤، أى فى أجواء انتصارات حرب أكتوبر المجيدة.

وكان الاتفاق قد تم على سحب القوات الاسرائيلية من غرب القناة أو سمى بالثغرة فى صباح اليوم التالى لزفاف لبنى ٢٥ من يناير ١٩٧٤ فكان الاحتفال مزدوجا وفى نفس هذا الحفل تمت خطبة الآنسة نهى محمد أنور السادات لحسن سيد مرعى المعيد بالجامعة، وكان سيد مرعى

مساعدا للرئيس السادات فى ذلك الوقت، وقد دعا الرئيس السادات فى هذا الحفل عدداً من أبطال حرب اكتوبر الجرحى واهتم بشأنهم وشاركته في هذا حرمه السيدة چيهان والتهبت مشاعر الجند فهتفوا بحياة السادات وبالنصر لمصر، وغنى المغنون فى الحفل أغانى الحرب التى سمعناها أثناء المعارك، ونسمعها فى شهر أكتوبر من كل عام.

أقيمت الأفراح بالنصر والانسحاب والزواج والخطبة فى حديقة بيت الرئيس وحضرها حسين الشافعى (ت٢٠٠٥) وكان وقتها نائب الرئيس، والدكتور محمد عبد القادر حاتم وحرمه، وقواد الحرب العظماء ومنهم الفريق أول أحمد إسماعيل، والفريق محمد عبد الغنى الجمسى، ودُعى إلى هذا الحفل الأنبا شنودة.

وعند انتهاء الحفل سار العروسان لبنى وعبد الخالق بين صفين من الجندوهم شاهرون السيوف، ويتقدم العروسان عدة تلميذات.

وفى الثانى من يناير ١٩٧٧ تم عقد قران وزفاف جيهان بنت الرئيس السادات إلى المهندس محمود عثمان ابن المهندس عثمان أحمد عثمان، وأقيم الحفل فى منزل الرئيس بالجيزه، وتولى عقد القران فضيلة الامام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر وكرر الرئيس فى هذا الحفل دعوته لأبطال حرب أكتوبر.

●●●●●●

وفى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك تزوج ابنه علاء من الآنسه هيدى كريمة السيد مجدى حسين راسخ ليلة العاشر من أكتوبر ١٩٩١، وأقام الرئيس حفل العرس فى مركز القاهرة للمؤتمرات بمدينة نصر، وحضر هذا الحفل الأخ العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية، وكبار رجال الدولة والقوات المسلحة، وعدد كبير من الشخصيات العربية والسلك الدبلوماسى وأسرة العروسين وفى يوم الجمعه ٤ من مايو ٢٠٠٧ تم زفاف السيد جمال مبارك نجل الرئيس محمد حسنى مبارك على الآنسة خديجة الجمال، ابنة رجل الأعمال محمود الجمال، وأقيم حفل الزفاف بمدينة شرم الشيخ فى فندق سيزونز على البحر، وحضر الحفل أقارب العروسين، وبعض الوزراء، وبعض رجال السلك الدبلوماسى مثل السيد عمرو موسى أمين عام جامعة الدول العربية، والسيد أحمد ماهر وزير الخارجية السابق، والسيد محمد رشيد وزير التجارة والزراعة.

ولم تحفل الجرائد القومية بهذا الزفاف، ولكن بعض الجرائد الأخرى تناولته فى أضيق الحدود، وجاء فى صحيفه «المصير» بتاريخ ٢٠/٥/٢٠٠٧ أن حفل الزفاف أحياه المطرب عمرو دياب والمطربة الأمريكية فانيسا، وأشرف على الحفل محمود إكي وهو من أشهر مصممى حفلات الزفاف، وقالت الصحيفه أيضا: إن العروس خديجة الجمال ولدت فى أكتوبر ١٩٨٢ بضاحية الزمالك، ودرست فى المدرسة البريطانية بالزمالك. وتخرجت فى الجامعه الأمريكية عام ٢٠٠٢ وتجيد عدة لغات مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية. أما السيد جمال مبارك فيشغل منصب رئيس لجنه السياسات بالحزب الوطنى.

ومن خلال العرض السالف نجد أن الزمن الذى اختاره الأزواج للزفاف والزواج هو زمن الشتاء، واستثن عدة زيجات جاءت فى غير أوقات الشتاء لأسباب ملموسة.

والشتاء من شأنه أن يجمع الأسرة، وتحلو فيه الخلوة، وفى ليله الساجى يطيب السمر، وبرودة الشتاء تميل بالإنسان إلى البحث عن الدفء، والزواج أحد وسائله، وقد عرف الإنسان هذا منذ القدم فبحث عمن يدفئه، وقديما عد الشاعر العباسى ابن سكره الهاشمى المرأة من لوازم الشتاء وحاجاته المهمة فقال:

جاء الشتاء وعندى من حوائجه سبع   إذاما القطر عن أوطاننا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طـلا   بعد الكباب وكف ناعم وكسا

أى أنه إذا جاء الشتاء وهطل المطر وحبس الناس فى البيوت أو القرى، فإن الشاعر عنده سبع حاجات وهى المنزل والمال والموقد والخمر واللحم والمرأة «كف ناعم» والكساء، فالمرأة إحدى حاجات الشتاء، وتسمى هذه الحاجات بالكافات أو كافات الأغنياء لأنها تبدأ بحرف الكاف.

ونظراً لطول ليل الشتاء، فإن الانسان يحتاج إلى من يؤنسه ويسليه، وكانت عندنا أغنية شعبية فى صعيد مصر تقول فيها المرأة للرجل «إرمى حمولك علىّ ليل الشتا طويل».

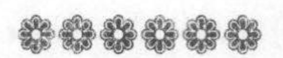
ويحلو للرجل الدخول على المرأة شتاء أو فى اليوم المطير كما قال المنخّل الشاعر الجاهلى :

ولقد دخلت على الفتا..........ة الخدر فى اليوم المطير.

ولا ننسى أن هطول المطر فى البوادى بشير خير؛ ومن هنا فإن الشاعر يفرح بعيدين فى زمن واحد: الدخول على الفتاة وهطول المطر، ولا أريد أن أستطرد ولكن أذكر أن الفيلسوف اليونانى أرسطو كان يحبذ الزواج فى فصل الشتاء. ولقد رجعت فى هذا المبحث إلى كتب أفادتنى وأذكر منها: « تاريخ الجبرتى » « حريم محمد على » « لصوفيا بول » « مذكراتى فى نصف قرن » لشفيق باشا « تاريخ مصر فى عهد الخديو إسماعيل » لإلياس الأيوبى « تقويم النيل » لأمين سامى باشا وغيرها.

كما رجعت لدوريات كثيرة أذكر منها: « المؤيد » « المقطم » « الأهرام » « الهلال » « وأكتوبر » « كوكب الشرق » « الصباح » « المصرى » « صوت الأمة » وغيرها من الصحف،.

أحمد حسين الطماوى




قسم الصور

طابع البريد التذكاري فى الزفاف الملكى السعيد

صورة مكبرة للطابع الذى تعده مصلحة البريد للتبادل يوم الزفاف الملكى السعيد . والطابع من فئة الخمسة المليمات ومطبوع باللون البنى « سبيا » . وقد توسطت الطابع صورتا المليك والخطيبة الملكية، واحيطت الصورتان باطار من اغصان الزيتون ويرى الى اليمين اسم « فاروق الاول » ومن فوقه التاج الملكى، والى اليسار اسم « فريدة » يعلوه التاج وستصدر المصلحة من هذا الطابع ٢٠٠ الف طابع فقط

الأهـرام ٢٨/١/٩٦

لمناسبة حفلات الزواج الملكى

حفلات زواج الخديو توفيق

صورة من بطاقات الدعوة اليها



حضرة الشيخ موسى ابراهيم حتحوت يرخص له الدخول فى محل وليمة تأهيل دولتلو افندم
محمد توفيق باشا بمعية المرحوم الهامى باشا الكائن امام القصر العالى يوم ٢٠ و٢١
و٢٢ و٢٣ ذى القعدة سنة ٨٩ الساعة [illegible] ساعة عربى

(هذه التذكرة بشخصه ويصير اراءتها عند الدخول فى كل دفعة)

ننشر هنا ، صورة من بطاقات الدعوة إلى حفلات زواج المغفورله الخديوتوفيق أيام كان وليا للعهد وقد عقدت فى ٢٠ و٢١ و ٢٢ و ٢٣ من مثل شهر ذىالقعدة الحالى عام ١٢٨٩ هجرية فيكون قدمضى عليها ٦٧ سنة بالحساب الهجرى

ويلاحظ القارىء فى هـذه البطاقة بعض تعبيرات لم تعد متداولة الآن ،مثال « محل وليمة تاهيل دولتلو افنـدم » ، «وهذهالتذكرة يصير اراءتها عندالدخول»

اما المرحوم الشيخ موسى حتحـوت الموجهـة إليـه الدعـوة فهو مـن بلدة شبين الكوم» وقد كانإذ ذاك احدالقضاة الشرعيين وهو والد حضرات حافـظ ومحمود والدكتور حسينوعلىومصطفى صبرى حتحوت



الملكة ناريمان



الخديوي توفيق

صورة زفاف



الخديوي إسماعيل

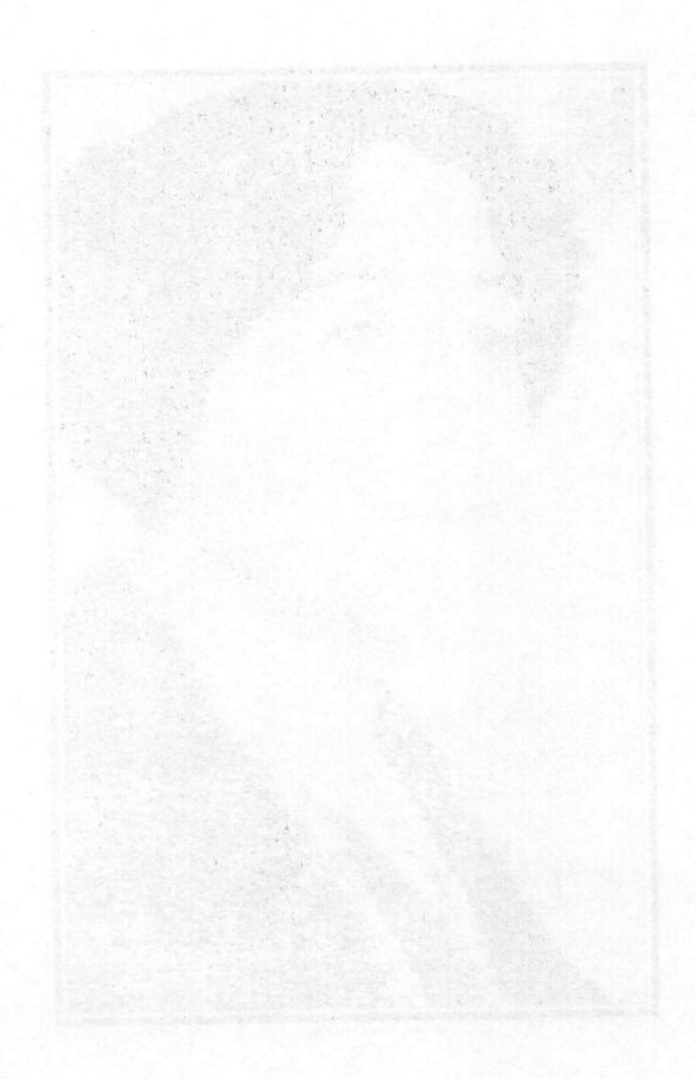


الأميرة فاطمة إسماعيل



جويدان هانم

زوجة عباس



كتب للمؤلف

- الديوان المجهول لخليل مطران– دار الفرجانى١٩٨٥
- ما هنالك، من أسرار السلطان عبد الحميد (تحقيق ودراسة) المركز العربى للإعلام والنشر ١٩٨٥
- صبرى السربونى– سيرة تاريخية وصورة حياة. الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦
- فصول من الصحافة الأدبية– دار الفرجانى ١٩٨٩
- على أدهم بين الأدب والتاريخ– الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠
- قبس من وحى التراث– دار الفرجانى ١٩٩١
- الهلال– مائة عام من التحديث والتنوير ١٩٩٢.. دار الهلال
- جرجى زيدان الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ (سلسلة نقاد الأدب)
- محمد لطفى جمعة فى موكب الحياة والأدب – عالم الكتب ١٩٩٣
- محمد صبرى – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ (سلسلة نقاد الأدب)
- ليلة باسمة فى حياة مى– دار الفرجانى ١٩٩٦
- ببليو جرافيا أعمال محمد صبرى السربونى– المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣
- محمد لطفى جمعة دراسة ببليوجرافيه ٢٠٠٥.

❀❀❀❀❀❀

الفهـــرس

❁❁❁❁❁❁